حلاوة الإيمان

في حب الله والرسول ﷺ

تأليـف
الدكتـور محمـد سـليمان فــرج
خـادم العلـم الشـريف

طبع على نفقة السيد/ أحمد عبدالجليل الفهيم
صدقة جارية عن روح والده المرحوم عبدالجليل الفهيم
غفـر الله لـه

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

لفضيلة الأستاذ العلامة الكبير الشيخ نصر الدين أحمد العقاد

من علماء الأزهر الشريف

الحمد لله وفق من أحبهم لطاعته فعاشوا في الجمال المدهش والجلال المحير وسقاهم راح المحبة فكانوا من المحبوبين لجنابه والمطلوبين لرحابه وصلاة وسلاما على الحبيب المحبوب سيدنا ومولانا محمد بقدر حبه الخير لكافة البشر وبقدر حرصه صلى الله عليه وسلم على إسعاد أمته فبذل النفس والنفيس في سبيل نجاتنا وما طلب منا أجرا إن أجره إلا على الله فجزاه الله خير ما يجزى به الله نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وعلى آله الأحباب وأصحابه الأنجاب إلى يوم الدين .

أما بعد.

فإن محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم سر يواجه به رب العالمين من سبقت لهم منه الحسنى وقد أرشدنا رب العالمين في القرآن الكريم عن دلائل محبته وأنها تنحصر في اتباع النبي صلوات الله وسلامه عليه قال الله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) واتباعه صلى الله عليه وسلم وطاعته لا تكون إلا بعد شهود الكمالات والجمالات التي في النبي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد وفق الله تعالى الداعية الإسلامي المحقق الدكتور محمد سليمان فرج حيث أخرج بعض الكتب القيمة في شتى مجالات المعرفة وكنت أشاهد فيها روح المحبين وجمال المحبوبين ثم دعته جواذب العناية ودواعي المحبة فأخرج هذا الكتاب في حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكنت أشاهد جوانب هذا السفر المبارك وكيف يدفع الحب صاحبه ليذكر من صفات محبوبه ما ينبه الغافلين ويزيد شوق المشتاقين ويؤنس الطالبين وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على صدق محبته وصفاء نيته.

فأرجو الله عز وجل أن يزيده من هذا الفضل ويديم له نعمة الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم . إنه سميع مجيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق وحبيب الحق سـيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها وعلى آلـه الكرام الأطهار وصحابته من المهاجرين والأنصار.

أما بعد :

فلا يدخل قلب أحد الإيمان إلا بمحبة الله تعالى ومحبة حبيبه المصطفـى وشـفيعه المرتجى أسعد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم لذا كانت محبته صلى الله عليـه وآلـه وسلم من أصل الإيمان قال الله تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكـم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونهـا أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يـأتي الله بـأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

سورة التوبة ، آية : ٢٤

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمـه وأحبوني لحب الله وأحبوا آل بيتي لحبي))

رواه الترمذي

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والـده وولـده والناس أجمعين)).

وبين صلوات الله وسلامه عليه أن الإيمان لا يدخل قلب أحد حتى يحب الله تعالى والمصطفى صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأطهار وصحابته الكرام فعن العباس بـن

عبدالمطلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتي))

رواه ابن ماجه وفي مجمع الزوائد : رجال إسناده ثقات

وعلى ذلك يجب على كل مسلم ومسلمة معرفة حقيقة المحبة الصادقة والأسباب المؤدية إليها ، والجزاء العظيم المترتب عليها من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، وذلك لأن سبيل السعادة الحقيقية وطريق الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة وسر الوصول إلى رضوان الله تعالى ومحبته وتذوق حلاوة الإيمان هو الاستغراق التام والفناء الكلي في محبة الله تعالى ورسوله سيد ولد آدم ، وأشرف الكائنات سيدنا محمد إمام الأنبياء وقدوة الأصفياء ، صلوات الله وسلامه عليه ومحبة المرء لأخيه في الله تعالى ، وباسم هذا الحب وبأنوار هداه نحلق في هذا الجو العلوي بأجنحة من الشوق والهيام ، متخذين من إيماننا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم سبيلا للسعادة والروح والريحان، لنعطر أرواحنا ونسمو بوجداننا لنتذوق نعيم المحبة ونسعد بجميل المودة .

وكيف نتكلم عن محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي أعز من أن يترجمها لسان أو يوضحها بيان فهي عالم أسمى من أن يوصف بكلمات لأن المحب لا يستطيع الإفصاح عنها لأنها معان سماوية ولذلك فإن بعض المحبين حينما حلقت روحه في نور الصفا ، وذاقت من رحيق الرضا قال :

إن قلبي ليسكن اليوم عالما لا يعرف غيري عنه شيئا ولو سئلت ما بي لأعجزني أن أجيب.

فهو عالم يذاق جماله ونور لا تراه إلا بصائر المحبين ، تترقرق حوله أنوار الهداية والمحبة ، ولذلك تجد الصادقين في محبتهم لله تعالى ولحبيب الله صلى الله عليه وسلم كلماتهم فيض من أعماق قلوبهم وهتافهم سبحات من صفاء أرواحهم وحياتهم متأثرة منفعلة بما يشرق في القلوب ويسعد الأرواح فجعلوا الوجود كله محاريب للعبادة

والطاعة وعطروا الحياة بالصفاء والمحبة حتى أصبحت أوقاتهم معارج روحية تتطلع في شوق ولهفة إلى الجمال الأسنى والكمال الأعلى .

فالمحبة حقيقتها ميل علوي وحياتها شوق وإلهامها وجد وبهجتها الكبرى استغراق كامل وهيام تام في تلك الذات العلية والأنوار المحمدية ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان في بهجة روحية وأنوار زكية وفي نشوة وإشراقات وإلهامات قدسية لأنهم في ظلال هذا الحب يعيشون وفي لهفة الشوق يتواثبون وفي جمال الهوى يتواجدون ، وفي حبيبهم يفنون فيخلدون.

إنه حب زكي يضفي ظلاله على حياتهم وعلى أرواحهم فيلونها بألوان علوية لا تطيقها النفوس المحجبة بظلمات المادة وإنما تراها أرواح وتفهمها قلوب وهذا الحب لا يتم إلا بمعرفة ما يجب علينا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولإخواننا في الله تعالى .

فأقدم هذا الجهد المتواضع هدية لسيدي وحبيبي وقرة عيني ونور فؤادي وحياة مهجتي سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاعتذار الشديد عن التقصير في حق الله تعالى وفي حقه صلى الله عليه وسلم وحق الإخوة في الله وأدعو الله تعالى بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك) كالملائكة والأنبياء والأصفياء لأنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا إصلاح إلا بأن يكون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا مما سواهما . هذا وإن أصبت فبفضل الله تعالى وإن قصرت فمن نفسي (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفقير إلى الله تعالى

د . محمد سليمان فرج

بسم الله الرحمن الرحيم

حلاوة الإيمان

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ثلاث من كن فيه ، وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)).

رواه البخاري ومسلم

فهذا الحديث النبوي الشريف ، يبين لنا الأمور الأساسية التي تكون سببا في تذوق حلاوة الإيمان وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كن فيه)) أي أن هذه الثلاثة مجتمعه تجلب حلاوة الإيمان ، فلا تصح بواحدة أو اثنتين .

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة في الفتح : إنما عبر بالحلاوة ، لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى : (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) فالكلمة هي كلمة الإخلاص والشجرة أصل الإيمان ، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي ، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير ، وثمرها عمل الطاعات ، وحلاوة الثمرة ، جني الثمر وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها .

وقال البيضاوي : المراد بالحب هنا : الحب العقلي الذي هو : إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه ، وإن كان على خلاف هوى النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله.

قال : وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة ، عنوانا لكمال الإيمان ، لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى ، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه ، وأن ما عداه وسائط ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يبين لنا مراد ربه ، اقتضى ذلك

أن يتوجه بكليته نحوه : فلا يحب إلا ما يحب ، ولا يحب من يحب إلا من أجلـه ، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقينا ، ويخيل إليه الموعود كالواقع ، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار .

قال ابن حجر في فتح الباري (١) :

وقال غيره : محبة الله تعالى على قسمين : فرض ، وندب .

فالفرض : المحبة التي تبعث على امتثال أوامره ، والانتهاء عن معاصيه ، والرضا بما يقدره ، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب ، فلتقصيره في محبة الله ، حيث قدم هوى نفسه ، والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات ، والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء ، فيقدم على المعصية ، أو تستمر الغفلة فيقع ، وهذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم ، وإلى الثاني يشير حديث : ((لا يزني الزاني وهو مؤمن)).

والندب : أن يواظب على النوافل ، ويتجنب الوقوع في الشبهات ، والمتصف عموما بذلك نادر .

قال : وكذلك محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على قسمين كما تقدم ، ويزاد أن لا يتلقى شيئا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته صلى الله عليه وسلم ولا يسلك إلا طريقته صلى الله عليه وسلم ، ويرضى بما شرعه صلى الله عليه وسلم حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضاه ، ويتخلق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ، وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١ ص ٦٠

وقال الشيخ محي الدين : هذا حديث عظيم أصل من أصول الديـــن ، ومعـــنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات ، وحمل المشاق في الدين وإيثار ذلك على أعـــراض الدنيا ، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك الرسول صلـــى الله عليه وسلم وإنما قال : ((مما سواهما)) و لم يقل : ((ممن)) ليعم من يعقل ومـــن لا يعقل .

فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينفعه ذلـــك ، ويشير إليه قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فأوقع متابعتـــه مكتنفة بين قطري محبة العباد ومحبة الله تعالى للعباد.

تذوق حلاوة الإيمان :

هذا وإن للإيمان الراسخ حلاوة وطعما يتذوقها المؤمن وينعم بها بعد الرضا التـــام واليقين بالله ربا فيطيعه ويخشاه وبالإسلام دينا فيسير على منهجه وبنبوته ورســـالته صلى الله عليه وسلم فيتخذه نبيا ورسولا .

وقوله : أن يكون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحب إليه مما سواهما " معنـــاه أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله تعالى ورسوله آكد عليه من حق أبيه وأمـــه وولده وزوجه وجميع الناس ، لأن الهدى من الضلال والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن علامات محبته : نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شـــريعته والتخلـــق بأخلاقه.

وقوله : ((أن يحب المرء)) قال يحيى بن معاذ : حقيقة الحب في الله أن لا يزيـــد بالبر ولا ينقص بالجفاء .

قوله : ((وأن يكره أن يعود في الكفر)) وفي رواية أبي نعيم بزيادة ((بعـــد إذ أنقذه الله منه)) والإنقاذ : يشمل أن يكون بالعصمة منه ابتداء بـــأن يولـــد علـــى الإسلام ويستمر ، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان .

وعلى ذلك فلا بد من توضيح هذه الأمور الثلاثة وإفراد كل واحدة منها بالشرح والتفصيل على النحو التالي:

أولا : بيان محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانيا : بيان محبة المرء لأخيه في لله تعالى .

ثالثا : كراهية الكفر ومحبة الإيمان

محبة الله تعالى

نبدأ بعون الله تعالى بشرح مفصل لقوله صلى الله عليه وسلم : (أن يكـــون الله ورسوله أحب إليه من سواهما) .

وهذه المحبة من جزأين : حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم أمـــا حب الله تعالى فهو أمر فطري مركوز في النفس توقظه الذكرى ولابد مـــن بيـــان حقيقة المحبة وتعريفها وحكمها وأسباها.

فعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليـه وسلم رسولا). رواه مسلم

تعريف المحبة :

الحب لغة : نقيض البغض ، والحب : الوداد والمحبة (١).

مراتب المحبة :

وقد ذكر أبو منصور التعالبي في ترتيب المحبة (٢)

"أن أول مراتب الحب الهوى ، ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب ثم الكلـف ، وهو شدة الحب ، ثم العشق ، وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحـــب ، ثم الشغف ، وهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة ، واللاعج ، فـــإن تلك حرقة الهوى ، وهذا هو الهوى المحرق ، ثم الشغف ، وهو أن يبلغ الحب شـغاف القلب ، وهي جلدة دونه ، ثم الجوى وهو الهوى الباطن ثم التيم وهـــو ان يســـتعبده الحب ثم التبل ، وهو أن يسقمه الهوى ، ثم التدليه وهو ذهاب العقل من الهـــوى ، ثم الهيوم وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه).

---

(١) لسان العرب

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ١٧١

درجات المحبة :

ويذكر ابن حزم درجات المحبة : (١)

وأن أولها الاستحسان : وهو أن يتمثل الناظر صورة المنظور إليـه حسـنه ، أو يستحسن أخلاقه ، وهذا يدخل في باب التصادق ،

ثم الإعجاب : وهو رغبة الناظر في المنظور إليه في قربه .

ثم الكلف : وهو غلبة شغل البال به وهذا النوع يسمى في الغزل : العشق .

ثم الشغف : وهو امتناع النوم والأكل والشرب إلا اليسير من ذلك وربمـا أدى ذلك إلى المرض أو إلى التوسوس أو إلى الموت وليس وراء هذا مترلة في تناهي المحبـة أصلا.

الحب أسمى المعاني

الحب السامي هو أساس حركة الحياة وتناسق الوجود وبناء العلاقات والمعاملات بين الناس بل وبين الناس وكل الأشياء التي يعرفونها.

فالحب حقيقته لا يعبر عنها ظاهر اللفظ لأن معناه يمتد إلى آفاق بعيدة المدى :

وعلى ذلك فالحب هو سر الوصول إلى الله تعالى لأن من عرف الله أحبه وكذلك من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه محبوب الله تعالى ومصطفاه .

فبالحب الصادق يعبد المؤمن بالله ربه ويؤدي فرائضه ويهيم بذكره ويسعد بقربـه وبالحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع سنته ويتفانى فيه ويشتاق إليه وبـالحب لاخوانه في الله تكون علاقته بهم على أساس الحب لله وفي الله فيرتقي المؤمن إلى آفاق عالية حتى تحلق روحه في الملأ الأعلى مع النبيين والصديقين والشـهداء والصـالحين وملائكة الله المقربين .

---

(١) مداوة النفوس لابن حزم ص١٢

فالمحبة وصف عظيم شهد الحق سبحانه به لأحبابه وأخبر عن محبته لهـم فـالحق سبحانه وتعالى يوصف بأنه يحب العبد ،والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه قـال تعالى : (يحبهم ويحبونه) فحب العبد لله تعالى سعادة غامرة يجدها العبـد في قلبـه تعجز العبارة عن وصفها، تحمله على تعظيم الله تعالى وموالاة طاعته ، وإيثار رضـاه وحب من يحبه ابتغاء وجهه واخلاصا لذاته العلية .

وأما حب الله لعبده : فيتجلى في توفيقه إلى العمل بطاعته وحفظه من المعـاصي وما يمنحه له من الفتح الإلهي والواردات والإلهامات والعلوم الوهبية المؤيدة بالكتـاب والسنة.

وحب المسلم للنبي صلى الله عليه وسلم ميل وانجذاب في القلب ، يدفع صاحبه إلى الاقتداء به، واتباع أقواله وأفعاله وأن يكون هواه تبعا لهوى رسول الله صلـى الله عليه وسلم فيحب ما أحب، ويكره ما كره.

حكم المحبة وتدرجها

قال الشيخ محمد أمين الكردي رحمه الله في كتابه تنوير القلوب : أجمعت الأمـة على أن حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل أحد .

قال تعالى : (والذين آمنوا أشد حبا لله) سورة البقرة ، آية : ١٦٥

وقال : (يحبهم ويحبونه) سورة المائدة ، آية : ٥٧

وقال : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

سورة آل عمران ، آية : ٣١

والمحبة ميل الطبع إلى الشيء لكونه لذيذا عند المحب فإن تأكد ذلك الميل وقـوي سمي صبابة لانصباب القلب إليه بالكلية فإذا قوي سمي غراما لأنه يلزم القلب كلـزوم

الغريم ، فإذا قوي سمي عشقا أي افراطا في المحبة فإذا قوي سمي شغفا لأنه يصل إلى شغاف القلب وداخله فإذا قوي سمي تتيما أي تعبدا لأنه يصير المحب عبدا للمحبوب فيكون ذلك المحب متيما مأمورا ومغرما مأسورا لا يقر له قرارا ولا يفرق بين النافع والضار ولا تحصل حقيقة المحبة من العبد لربه إلا بعد سلامة القلب من كدورات ، النفس فإذا استقرت محبة الله في القلب خرجت محبة الغير لأن المحبة صفة محرقة تحرق كل شيء ليس من جنسها.

تقديم محبة الله تعالى

ولقد حذر الله عز وجل المسلمين وتوعدهم بالعقوبة أن يقدموا محبة أي محبوب لديهم مهما كان عزيزا على محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الله عز وجل : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) .

سورة التوبة : آية : ٢٤

فقد توعد الله من يؤثر أهله وقرابته من الآباء ، والأبناء والأخوة ، والأزواج ، والعشيرة وكذلك الأموال المكتسبة ، والتجارات ، والمساكن الطيبة بالوعيد الشديد. بقوله جل ثناؤه : (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) فهذا إنذار ووعيد منه تعالى بإنزال العقوبة العاجلة — أو الآجلة - وكذلك ختم سبحانه وتعالى به هذه الآية بقوله جل ثناؤه: (والله لا يهدي القوم الفاسقين) والفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى .

سورة التوبة : آية :٢٤

ولما ساقهما مساقا واحدا فقال : (مما سواهما) دل ذلك على أنهما بحكم واحد، فكلاهما واجب ، ولا يصح أن يكون أحدهما واجبا ، والآخر ليس بواجب، وهذا ما يدل على أنهما فرض والله تعالى أعلم .

قال صاحب الكشاف : هذه آية شديدة ، لا ترى أشد منها ، كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين ، واضطراب حبل اليقين ، فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوة والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا؟ ويتجرد منها لأجله ؟ أم يزوي الله تعالى عنه أحقر شيء منها لمصلحته ، فلا يدري أي طرفيه أطول ، ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين ، فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره؟

فيجب على كل مؤمن أن يقدم محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم على كل شيء ، وقد أشار المولى تعالى إلى المؤمنين الصادقين الذين يحبون الله تعالى حبا شديدا فقال جل شأنه : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حبا لله). سورة البقرة : آية ١٦٥

أقوال العارفين في المحبة

لقد عرف المحققون المحبة بتعاريف كثيرة منها :

المحبة : موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

أي أن المحب يكون وفق مراد محبوبه دائما في أحكامه القدرية والشرعية .

وقال سهل بن عبدالله : المحبة : معانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

أي أن المحب يبذل ما في وسعه ليطيع محبوبه ويبتعد عن مخالفته.

وقال أبو عبدالله القرشي : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء .

أي أن المحبة تجعل المحب يقدم روحه وكل ما يملك لمحبوبه لأن العبد وما ملكت يداه لسيده ومولاه .

وقال المحاسبي : المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه.

أي أن المحاسبي جمع بين أقوال المحبين وبين ما ينبغي أن يكون عليه المحب .

المحبة عند الإمام الغزالي :

وقال الإمام الغزالي رضي الله عنه في الاحياء ، اعلم أن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها قال تعالى : (يحبهم ويحبونه) وقال صلى الله عليه وسلم : (اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد)

رواه الترمذي واللفظ له وحسنه والحاكم وصححه

فالمحبة أسمى المقامات التي يحرص عليها المقربون : قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : (من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر) وقال الحسن : (من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها) وقال أبو سليمان الداراني : (إن من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا).

فالذين يحبون الله تعالى لا تشغلهم الجنة وما فيها عن ربهم عز وجل.

المحبون هم أولياء الله تعالى

قال السري السقطي : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم الصلاة والسلام فيقال : يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد ، غير المحبين لله فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا.

وقال هرم بن حيان : المؤمن إذا عرف ربه أحبه وإذا أحبه أقبل عليه وإذا وجد حلاوة الاقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة و لم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة .

فمن رزقه الله محبته سعد بقربه في الدنيا والآخرة.

وقال يحيى بن معاذ :

عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسى ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب : "عبدي أنا وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا ". واعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى وإدراك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ولا مكدر ، وإنما يحصل ذلك بقطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص من حب الله .

فالمحب الصادق تجده ليلا ونهار لا يغفل عن ذكر ربه ومناجاته والأنس به.

وقال أبو الدرداء لكعب الأحبار : أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة ؟ فقال : (يقول الله تعالى : طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشد شوقا قال ومكتوب إلى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد أني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا) .

نعيم أهل المعرفة والمحبة :

وقال بعض العارفين بالله تعالى : (ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة و لم يتحقق بشيء من ذلك) .

فأهل المحبة والمعرفة بالله تعالى في أسمى مراتب النعيم الذي يفوق مقيم الجنة لأن المحبين هم خلاصة الناس.

فقد جاء في الروض الفائق : الناس في المحبة على أنواع وأجناس ومحبو الله هم خلاصة الناس قال الله تعالى : (والذين آمنوا أشد حبا لله).

سورة البقرة ، آية :١٦٥

وكان أبو يزيد البسطامي رحمه الله يقول في مناجاته : (إلهي لست أعجب من حبي لك وأنا عبد حقير وإنما أعجب من حبك لي وأنت ملك قدير).

فالسعيد حقا من عرف هذه النعمة وأن الله تعالى إذا أحب عبدا ورزقه محبته فتلك منة كبرى يجب شكرها والمحافظة عليها.

وقد ذكر بعض الصالحين أنه كانت امرأة صالحة تسمى ميمونة تقول :

عجبا للمحب كيف ينام   كل نوم على المحب حرام

وكانت في البراري ترعى الأغنام فجاءها الربيع بن خيثم فوجدها قد اتخذت محرابا وهي تصلي فيه ورأى الغنم ترعي والذئاب تحرسها . فتعجب من ذلك و قال لها: كيف اجتماع الذئاب بالغنم . فقالت : لما تعلق حبه بقلبي واحتكم . تركت الدنيا عن قلبي فأصلح ما بين الذئاب والغنم ؟. ثم قالت : يا ربيع اسمعني شيئا من كلام سيدي فقد اشتاقت نفسي إليه فقرأت : (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) وهي تسمع وتبكي وتضطرب إلى أن وصل إلى قوله تعالى : (ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصرخت صرخة وخرت ميتة .

فأهل المحبة تولاهم بعنايته وجعل لهم كرامات ونفحات عليا .

وقال عبد الله بن الفضل رحمه الله تعالى : لما توفي يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي . قيل : بماذا قال كنت أقول في مناجاتي إلهي إن كنت مقصرا في خدمتك فما كنت مقصرا في محبتك .

فالمحب الصادق يرفع لأعلى المنازل بصدق محتبه

قال بعضهم :

كيف تبقى للعاشقين ذنــــــوب وهي من حرقة الفـــؤاد تـــــدوب

كيف ينسى المحب ذكر حبيـــــب واسمه في فـــــؤاده مكتــــوب

وقال غيره :

طلب الحبيب من الحبيب رضــــاه ومنى الحبيب من الحبـــيب لقـــاه

أبدا يلاحظه بعيــــــــني قلـــبه والقلب يعــــرف ربــه ويــــراه

يرضى الحبيب من الحبيب بقربـــه دون البعاد فما يريـــــــد ســـواه

حببوا الله إلى عباده

عن الحسن البصري قال أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود أحبـــني وأحب من يحبني وحببني إلى عبادي . فقال يارب أحبك وأحب من يحبك فكيــــف أحببك إلى عبادك؟ فقال : تذكرني لهم وتذكرهم آلائي ونعمائي فإنهم لم يعرفوا مـــني إلا الجميل والإحسان .

فعلى المؤمنين وخاصة الدعاة أن يحببوا الله إلى عباده ويذكروهم بنعمه ومحبته.

فاذا كانت محبته سبحانه سبقت للعبد بمحض العناية فالمرء بين يدي محبوبه قـــائم ولخدمته ملازم وفي حبه هائم

قال أبو حيان رحمه الله : حضرت مجلس ذي النون المصري رحمـــه الله في فـــلاة مصر فحسبت من حضر فكان عددهم سبعة ألف فتكلم في محبة الله تعالى وما يتعلـــق بالمحبين وصفاتهم فقال : قد احرقت المحبة قلوبهم وصفا من الكفر مشروبهم لا جـــرم

أنهم بشروا بالهنا وبلوغ المنى فصارت أبدانهم روحانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة بالعيان تشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم لا طمعا في جنته و خوفا من ناره.

أي عبدوه لذاته العلية فيحبون الجنة لمشاهدة وجهه الكريم ويكرهون النار لأنها محل غضبه وسخطه.

وقال بعض العارفين للمحبة رجال ما تركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجال ما في المحب عضو ولا جارحة إلا وعليه شواهد المحبة لائحة فالألسن قد شغلها أنيس (فاذكروني أذكركم) والأسماع منصتة لاستماع كلام الحبيب بألحان : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) والأبصار شاخصة لانتظار : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) والأبدان قائمة بوظيفة (إياك نعبد وإياك نستعين) والقلوب مرتبطة برابطة : (يحبهم ويحبونه) والأرواح ترتاح لأذكار : (فروح وريحان) فما للعارف غفلة عن مشهوده ولا للعابد غفلة عن معبوده .

مراتب الحب الإلهي

قال بعض العارفين الحب أربع مراتب الحب لله والحب في الله والحب بالله والحب من الله ، فالحب لله ابتداء والحب من الله انتهاء والحب في الله وبالله واسطة بينهما فالحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه والحب في الله أن تحب فيه من والاه والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه منقطعا عن نفسه وهواه والحب من الله هو أن يأخذك من كل شيء ولا تحب إلا إياه وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ مقهورا بنور الله ، وعلامة الحب في الله أن تحب من لم يحسن لك بدنياه من أهل الخير والطاعة لله وعلامة الحب من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستورا .

فمن عرف مقدار المحبة سعى إليها وسارع للتحقق بها والتعرض لها بفضل الله وتوفيقه.

قال : الشيخ الإمام الشاذلي رضي الله عنه : من أحب الله وأحب لله فقد تمت له ولايته والمحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له غير مشيئته ، وقال : المحبة أخذة من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه ، فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذه في حضرته والسر معمورا في مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القرب ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم .

فأهل المحبة الصادقة جمعوا خيري الدنيا والآخرة لارتقائهم عن محبة الدنيا وزينتها الفانية.

قول ابن عطاء الله في حب الله تعالى :

قال ابن عطاء (وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا) أي من أعطاه الله تعالى من حبه المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ، ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته.

قال بعض العارفين : إياك أن تخرج من هذه الدار وما ذقت حلاوة محبته جل جلاله .

قال المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير عند قوله صلى الله عليه وسلم (حببوا الله إلى عباده يحبكم الله) .

رواه الطبراني والضياء عن أبي أمامة ورمز السيوطي لصحته .

أي ذكروهم بآلائه عليهم ليحبوه فيشكروه فيضاعف مزيده عليهم لأنكم إن فعلتم ذلك أحبكم والمحبة توصل إلى القلوب ألطافا وتجلب إليها انعطافا .

أصناف المحبين لله تعالى

جاء في جواهر المعاني : محبة الخلق لله سبحانه وتعالى على أربعة أقسام ، القسم الأول : محبتهم للثواب ، والقسم الثاني : محبتهم لآلائه ونعمائه ، والقسم الثالث : محبتهم لما هو عليه من الكمال والجمال، والقسم الرابع : محبتهم للذات العلية أما محبتهم للثواب فمعلومة وكذا محبتهم لآلائه ونعمائه وهاتان المحبتان لعامة المؤمنين منها حظ ونصيب ولكن قد تزولان هاتان المحبتان بزوال سببها وأما القسم الثالث سببها ثابت وهو ما عليه ربنا من أوصاف الكمال والعظمة والجمال وهذه لصغار الأولياء ولكن لا تلحق المرتبة الرابعة لأن المرتبة الرابعة مجردة عن الأسباب والعلل والأوصاف وهذه لا تكون إلا لمن فتح عليه ورفع عنه الحجاب وشاهد أسرار الأسماء والصفات والمواهب والحقائق والكمالات.

ثم قال رضي الله عنه وبيان التدرج في هذه المراتب المذكورة فصاحب محبة الثواب إذا دام التوجه بها إلى الله تعالى ولازم قلبه ذلك انتقل منها إلى محبة الآلاء والنعماء إذا دام التعلق بها والتوجه إلى الله بالقلب على طريقها انتهت به إلى محبة الصفات فانتقل إليها حينئذ وهي أعلى منها وصاحب محبة الصفات إذا دام التوجه بها إلى الله تعالى واستقام سيره وسلوكه انتقل منها إلى محبة الذات وهي الغاية القصوى ومتى وصل إلى محبة الذات واعلم أن محبة الله للعبد هو إفاضة محبة ذاته المقدسة عليه فهي غاية الغايات وإليها ينتهي سير كل سائر من وصلها كملت له مطالب الدنيا والآخرة على قوله تعالى : (يحبهم ويحبونه) فلولا محبته سبحانه وتعالى لهم ما وصلوا إلى محبة ذاته سبحانه وتعالى.

فمن تأمل في ذلك عرف أن السعادة كلها في معرفة ذات الله تعالى بصفاته العلية وأسمائه الحسنى فيطمع في كرمه ويرجو ثوابه ونعمه لأنه يرى الله فيها .

ابن الفارض في حب الله تعالى :

يقول سلطان العشاق ابن الفارض رضي الله عنه :

وعن مذهبي في الحب مالي مذهب ... وإن ملت يوما عنه فارقت ملتي

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهوا قضيت بردتي

ويقول أيضا :

لو أن روحي في يدي ووهبتها ... لمبشري بقدومكم لم أنصف

مالي سوى روحي وباذل روحه ... في حب من يهواه ليس بمسرف

فلئن رضيت بها فقد أسعفتني ... ياخيبة المسعى إذا لم تسعف

القسطلاني ومحبة الله تعالى :

قال شهاب الدين أحمد القسطلاني(١) : محبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفاتها وإفراده سبحانه وتعالى بها فإن الواجب له من ذلك أن يكون أحب إلى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون إلهه الحق ومعبوده أحب إليه من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله وحده ولا تصح الألوهية إلا له تعالى والتأله هو المحبةوالطاعة والخضوع .

وفي البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال : (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه وفي رواية بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء

---

(١) المواهب اللدنية في المقصد السابع .

أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته).

وقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض وأجيب بأن المـــراد مـــن النوافل إذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها أو أن الاتيان بالنوافل لمحـض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فإذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى منه لله فـــوق المحبة الأولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه و لم تبق منه سعة لغير محبوبه البته فصار ذكر محبوبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب علـــى محبــه الصادق في محبته .

ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه وإن أبصر أبصر به وإن نظر نظر بـــه وإن مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه والباء هنا باء المصاحبة ولمـــا حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الـــرب لعبـــده في حوائجـــه ومطالبه فقال ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه أي كما وافقني في مـــرادي بامتثال أوامري والتقرب إلى بمحابي فأنا أوافقه في رغبته فيما يسألني أن افعله ويستعيذ بي أن يناله ، وقال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

سورة آل عمران ، آية :٣١

فجعل الله تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعـــل جزاء العبد حسب متابعة الرسول محبة الله تعالى إياه وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم مطالعة الله على عبده منة تأهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليـــه وســـلم وأصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب ذلك العبد فإذا أدار ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى في نفسه وما أهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويـــت عزيمتـــه وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشـأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقتـــه

خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته وإن لم تكن كذلك فلا تتعن فلست على شيء وتأمل قوله : (فاتبعوني يحببكم الله) أي الشأن في أن الله تعالى يحبكم لا في أنكم تحبونه وهذا لا تنالونه إلا باتباع الحبيب.

وقال المحاسبي : وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضات الله والتمسك بسنن رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لا ستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية.

قالت رابعة العدوية :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

قال بعض المحبين ظاهر المحبة رضا المحبوب وباطنها إعطاء القلب إلى المحبوب بحيث لا يبقى فيه بقية لغيره .

وقال بعضهم :

وليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها :

هذا والمحب يظل طول عمره في شوق للقاء الله تعالى لأن الشوق انجذاب القلب إلى مشاهدة المحبوب والفرح بلقاء الله ولذا لما احتضرت السيدة نفيسة رضي الله

عنها وهي صائمة طلبوا منها الفطر ، فقالت واعجبا لي منذ ثلاثين سنة أسـأل الله أن ألقاه وأنا صائمة أفأفطر الآن هذا لا يكون ثم أنشدت وذلك لشدة محبتها لله تعـالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم تقول :

اصرفـوا عني طبيـبي ودعـوني وحبيـبي
زاد بي شوقي إليـه وغرامـي ونحيـبي

ثم ابتدأت في سورة الأنعام فلما وصلت إلى قوله تعالى : (لهم دار السلام عنـد ربهم) . خرجت روحها الطاهرة الزكية .

المؤمن أشد حبا لله تعالى

إن المؤمن الذي يتأمل ببصيرته جمال الله تعالى وجلاله في كل شيء ويرى بـره ولطفه وإحسانه مشهود وافي ، والمؤمن يعلم علم اليقين أنه سبحانه هو المنعم الـذي لا إنعام إلا منه ولا سعادة إلا به يصير قلبه مشغولا بمحبته وعمله موجها إليه ، لذتـه الكبرى في ذكره وطاعته وعدم المخالفة عن أمره وبذلك يكون قرير العين مطمئـن القلب شاكرا لمولاه بلسانه وقلبه وجسمه أن رزقه محبته .

لأن الله عز وجل أولى بالحب فيجب على كل مؤمن أن يتعلق قلبه به أكثر مـن حبه لوالده وولده ونفسه التي بين جنبيه والناس أجمعين وكل ما هو محبوب لديـه لأن النعم المفاضة من فضله وكرمه والتي يتقلب فيها الإنسان ليلا نهار وينعم بهـا طـولا وعرضا مع توالى الأنفاس ودقات القلوب ، في كل وقت وحين تدعوه بلسان حالهـا لحب المنعم جل جلاله .

وقال عز وجل مذكرا عباده بهذه النعم :

(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) سورة النحل ، آية : ١٨

وقال عز وجل :

(وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون)

سورة النحل ، آية : ٥٣

ويقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي))

رواه الترمذي والحاكم .

فهل من الوفاء والفطرة السليمة ، أن يتمتع الإنسان بما خلق الله له من هذه النعم في الإصباح والإمساء ويرى ما فيها من بديع الأشياء وأن الله تعالى سخر لنا كل شيء في الأرض والسماء .

كما قال عز وجل : (خلق لكم مافي الأرض جميعا)

سورة البقرة ، آية : ٢٩

وقال عز وجل : (وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة)

سورة لقمان ، آية : ٣٠

ثم لا يمتلىء قلبه بمحبته فيسارع إلى شكره وعبادته :

إني لأعجب ممن قد رأى طرفا   من فرط لطفك ربي كيف ينساك

فالسعيد حقا هو الذي يتفكر في إنعامه ومزيد إحسانه وعظمته التي يعجز عن وصفها وعلمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وحكمته أتقن بها جميع الأشياء وما هو متصف به عز وجل من صفات الجمال الكمال والجلال .

قال صاحب كتاب : الحب بين العبد والرب :

أيها الإنسان : إن كان لا يستولي على نفسك إلا سلطان الحسن ، الذي تشاهده بعينيك أو تلمسه بيدك ، فاعلم أن كل جمال يقع عليه حسك أو يتصل به لمسك ، فإنما هو ظل من ظل ذلك الجمال المطلق ، الذي يجل عن الحدود ويتعالى عن القيود ، وليس يعطيك أي مظهر من مظاهره إلا بعض سرائره ولا تمثل لك أي مرآة من مراياه إلا بعض مزاياه وأنى يسع المحدود من لا يقبل التحديد وكيف لا يضيق المقيد بمن لا يدخل في سجن التقييد.

شيء به فتن الورى وهو الذي ... يدعى الجمال ولست أدري ما هو

قال بعض الحكماء لتلاميذه : إن الناس كلهم يشتاقون إلى الله ، أتدرون لماذا؟ لأنهم يتوقون إلى صلاح لا يتناهى ، وكمال لا يتناهى ، وجمال لا يتناهى ، وليس ذلك إلا لله تعالى !

فارجع أيها المؤمن إلى سلامة فطرتك ، وافتح بصر بصيرتك ، وطالع ذلك الجمال الإلهي الذي تجلى على صحفات الموجودات ، واقرأه بين سطور تلك الكائنات.

وعند ذلك ينطلق لسان حالك منشدا:

عجبت لعاقل في الناس أضحى ... يرى هذا الجمال ولا يهيم

وترنم روحك مغردة:

لعمرك كل الحسن من بعض حسنه ... وما حسن كل الحسن إلا جماله

فتأمل هذا الحسن رعاك الله في كل شيء تراه في جميع الكائنات .

إن شئت في فلك أو شئت في ملك ... أوشئت في مدر أو شئت في حجر

فالكل ينطق أن الله خالقه ... وهو المليك ورب النفع والضرر

وهل الشمس وهي أظهر ما علمت وأبهر ما رأيت وأجمل ما وقع عليه البصر وأبهى ما وصل إليه النظر ، إلا أثر من آثاره ونور من أنواره ، وقد كتبت عليها سطور البهاء والجمال والعزة والجلال ، فنحن نقرأ فيها قدرة نخر لها ساجدين ، وحكمة نقف أمامها مبهوتين، وجمالا يذوقه الوجدان ، وإن كان لا يكيفه وتمتلئ به النفوس وإن كانت لا تعرفه ، ونطالع فيه رحمة تجعلنا قائلين بلسان الشاكرين :
(تبارك الله أحسن الخالقين).

سورة المؤمنون ، آية : ١٤

من دواعي المحبة وأسبابها

إن دواعي المحبة في ذات الله تعالى وصفاته لا تحصى ، فإذا كنت تحب شيئا لما يبهرك من إبداعه فأحب الله تعالى الذي أتقن هذه العوالم كلها ، وأودع فيها من الحكم والأسرار ما أدهش فلاسفة العالم ، وكل أصحاب العقل والتفكير .

وقد اعترف الفليسوف الانجليزي (سبنسر) بهذه العظمة الإلهية ، التي ظهرت في صنع الله في هذا العالم حيث قال : (ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية ، وإنما الغرض الأسمى : أن يشرف الإنسان على ذلك السر الباهر ، ويستطيع معرفة تلك العظمة الإلهية من وراء تلك الحدود التي ينتهي إليها علم الطبيعة)

وإن كنت تحب أحدا لمزيد فضله وعظيم علمه وحسن تدبيره ، فأحب الخالق العظيم الذي أوجدك وهو قيوم السماوات والأرض وأمره بين الكاف والنون.

قال تعالى : (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) .

سورة البقرة ، آية : ١١٧

وإن كنت تحب أحدا لاحسانه ومزيد إنعامه ، وعظيم تفوقه في باب الفضائل والمكارم ، فأحب منبع النعم ومعدن الكرم ، وأين كل ما تتخيله إذا قسته بقطرة من بحار فضله ، وماذا نعدد لك من نعمه أو نسرد عليك من آثار كرمه ، بعد ما علمت أنه المفيض لكل نعمة وأنه رب الكرم والجود .

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) .

سورة فاطر ، آية : ٢

والحق أن هذا مقام تخرس فيه الألسن ،فلن تطيق شرح نعمة واحدة من نعمه سبحانه .

انظر مثلا إلى نعمة الهواء التي يتوقف عليها وجود كل حي ، إلى آخر ما يتفرع منها وما يتشعب عنها .

وانظر إلى نعمة الضياء أو الماء ، وما أودعه في الأشياء من الكهرباء بباهر حكمته وعظيم تدبيره : (ذلك تقدير العزيز العليم).

سورة يس ، آية : ٣٨

آيات الله في الأنفس والآفاق

فمن يتأمل فيما حوله من النعم يقرأ قوله تعالى : (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) .

سورة القصص ، آية : ٧٣

وقوله تعالى : (الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وأتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار).

سورة ابراهيم ، آية : ٣٢/٣٤

وقوله تعالى : (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين)

سورة البلد ، آية : ١٠

وقوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

سورة الروم : آية :٢٤

وقوله عز وجل : (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

سورة الرعد ، آية : ٤

وقوله عز وجل : (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

سورة الحج ، آية ٤٦

فمن يتدبر في الكتاب العزيز وما فيه من الآيات ، التي تلفت نظر الإنسان إلى قدرة الله وبديع صنعه وجميل إحسانه وعظيم كرمه ، فإنه بقليل من التفكر والتأمل لا يسعه إلا أن يعترف لخالقه بهذه العظمة المدهشة ، والإنعام المفاض على كل من في الوجود ومن ثم يدعوه ذلك إلى محبته وطاعته والتفاني في سبيله.

هذا وقد فكر في ذلك وأحس به الفليسوف (لنيه) الفسيولوجي الفرنسي ، الذي كان يدعوه وجدانه فيجيبه ، ويناجيه شعوره الحي فلا يتغافل عنه قال :

" إن الله الأزلي الكبير العالم بكل شيء قد تجلى لي ببديع صنائعه ، حتى صرت مدهوشا مبهوتا فأي قدرة وأي حكمة وأي إبداع أودعه مصنوعاته؟ سواء في ذلك أصغر الأشياء أم أكبرها ، إن المنافع التي نستمدها من هذه الكائنات ، تشهد بعظيم رحمة الله التي سخرها لنا ، كما أن جمالها وتناسقها ينبيء بواسع حكمته ، وكذلك حفظها وتجددها ينطق بجلال عظمته "

إن من ينظر إلى نفسه ويتأمل خلقته ألا يحب من صوره فأحسن صورته وخلقه في أحسن تقويم وشق سمعه وبصره وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة؟

وما أروع قول القائل :

هاج للقلب من هواه اذكار ... وليال خلالهن نهار

وجبال شوامخ راسيات ... وعيون مياههن غزار

ونجوم تلوح في جنح ليل ... مشرقات في كل يوم تدار

وشموس مضيئة للبرايا ... في نهار وفي الدجى أقمار

ورياح تهب من كل فج ... وبروق وراءها أمطار

إن شـــأن الإله شـــأن كبير جل ربا وجــــلت الآثـار

والذي قد ذكــــرت دل على الله نفوسا لها هوى واعتـبار

أو يتفكر في روعة الناظم :

تبصر حيث كان لك التبصـــر وفي ذات الإله دع التفكـــر

وإن ترد المهيمن حين تذكـــر تأمل في نبات الأرض وانظـر

إلى آثار ما صـنع المليك

أنوار المهيـــمن ســاطعات وأفكار الخلائق حائـــرات

ولكن الأدلــــة واضــــحات أصول من لجين زاهـــرات

على أغصانها ذهب سبيك

شموس في البريــــة مشــرقات نجوم في الدياجي لا معـــات

بطول الدهر يوما ســــابحات إلى مالست أدري طائـــرات

يطير بها له الجــرم السميك

رياض مـونقات منعشــــات وألوان لعينك مدهشـــــات

وأزهــــار تروقك مبهجـــات على قضب الزبرجد شاهدات

بأن الله ليس له شـــريك

وقد ذكر الإمام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين (١) : ما يجب الإيمان بـــه في صفات الباري جل جلاله مبينا قدرة الصانع وعلمه المحيط بكل شيء فقال :

يجب العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله : (وهو على كل شيء قدير) صادق، لأن العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حســن

---

(١) راجع كتاب احياء علوم الدين للإمام الغزلي ج١ ص ١٨٨

النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ، ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له ، أو عن إنسان لا قدرة له ، كان منخلعا عن غريزة العقل ، ومنخرطا في سلك أهل الغباوة والجهل .

علمه المحيط بكل شيء :

والعلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء صادق في قوله (وهو بكل شيء عليم) ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والتوصيف، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف .

كيف نفوز بمحبة الله تعالى؟

إن الأسباب المؤدية لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم للعباد كثيرة أهمها :

الصدق في محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والإلتزام بأوامر الله تعالى والاقتداء والتشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم .

والاكثار من قراءة القرآن الكريم بالتدبر لمعانيه واستحضار أن العبد يسمعه من الله تعالى بمحبة وشوق وخشوع تام حريصا على أن يتفهم مراد الحق سبحانه وتعالى.

والإكثار من التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض ، لأنها هي التي توصله إلى درجة المحبة .

ودوام الذكر على كل حال باللسان والقلب وذلك بالشوق والحنين مع الفرح بفضل الله تعالى وتوفيقه.

والاقبال على الله تعالى ومناجاته بأسمائه وصفاته فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، رزقه الله تعالى المحبة .

والتدبر عند مشاهدة آياته في كل شيء مع ملاحظة إحسانه وآلائه ومراعـاة نعمـه الباطنة والظاهرة ، وخاصة التي يتقلب فيها العبد ليلا ونهارا.

وإيثار ما يحبه الله تعالى على هوى النفس.

وإنكسار القلب بالتضرع دائما بين يدي الله تعالى .

وحب الخلوة به لمناجاته والوقوف بين يديه في الصلاة وحب الصالحين ومخالطة المحبين الصادقين والفرار إلى الله تعالى من كل سبب يحول بين القلب ، وبـين الله عز وجل ومجاهدة النفس ومحاسبتها على كل شيء ومراقبة الله تعالى في كل عمـل فهذه بعض أسباب محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم للعبد ومدار ذلـك كله على فضل الله تعالى واستعداد الروح لهذا الأمر وانجلاء عين البصيرة.

لمن تكون محبة الله عز وجل ؟

وكذلك محبة الله عز وجل إنما تكون لمحب النبي صلى الله عليه وسلم الذي يتبعـه ويقتدي به.

مصداقا لقول الله عز وجل: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفـر لكم) .

سورة آل عمران ، آية : ٣١

فالمتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون محبوبا لله عز وجل لأن اتباعـه صلى الله عليه وسلم يعطي متبعه محبة الله تعالى التي هي ثمرة الاتباع .

وكذلك من اتصف بالصفات التي يحبها الله تعالى في القرآن مثل قولـه تعـالى : (والله يحب الصابرين) ، (إن الله يحب المحسنين) ، (فإن الله يحب المتقـين) ، (إن الله يحب المتوكلين) ، (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ، (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ، (والله يحب المطهرين) ، (إن الله يحب الذين يقـاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ، (إن الله يحب المقسطين) وإن كان ذلك كلـه

راجع إلى الاتباع أيضا ، لأن من كان متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كـــان متصفا بهذه الصفات التي تجعله محبوبا لله تعالى .

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في مقام المحبة :

الحب أعلى مقامات المريديـــــنا	به الوصــــــــول إلى رتب المرادينا
الحب حبان حب عن مواجهـــــة	بالاجـــتلاء وهـــــــــذا للأقلينا
أو فهم آثار آيات مســـــــــخرة	بها الوصول إلى روضــــــات عالينا
والعارف الفرد محبوب لخالقــــه	فات المقامات تحقيقا وتمكـــــينا
في كل نفس له نـــــــور يواجهه	من عالم القدس ترويحا وتيقيـــــنا

ما معنى حقيقة محبة الله تعالى لعبده ؟

قال الشيخ عبدالعزيز الدريني رضي الله عنه في كتاب طهارة القلوب.

محبة الله تعالى لعبده إرادة تقريبه وإكرامه وتوليه بعنايته في جميع أحواله فمن أحبـه الله تعالى عامله بلطفه وجاد عليه بإحسانه وفتح عليه بما يبلغه أمله .

ومحبة العبد لله تعالى تعلق القلب بذكره ودوام الشغف والتنعيم بمناجاته والتلـــذذ بخدمته وصدق الشوق إليه ، وقال يحي بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب.

قال أبو القاسم الجنيد : كان سمنون المحب ممن أقيم في مقام المحبة وكان إذا تكلـم في المحبة كاد الصخر أن يتصدع لكلامه ويقال : أن قناديل المسجد كانت تتلاطـــم وتنكسر عندما يتكلم في المحبة ، وتهيم الخلق وتتوله عقولهم ، ويصـــيرون في دهشـــة وحيرة حتى الطيور تهيم عند سماع كلامه ، ونزل عليه يوم طائر وهو يتكلم في المحبـــة فقعد في حجره ثم نزل عن حجره إلى الأرض ، وضرب بمنقاره على الأرض ، حـــتى خرج الدم من منقاره ومات ، وسئل بعض الأكابر فقيل له : ما بال كلام سمنـــون في

المحبة يؤثر في قلوب الخلق مالا يؤثر كلام غيره؟ فقـــال : ليـــس النائحـــة الثكلـــى كالنائحة المستأجرة والكلام إذا خرج من القلب دخل القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

الله تعالى أولى بالحب من كل شيء

إن ذكر النعمة يورث المحبة ، قال علي بن الفضيل رحمة الله عليه : إنما يحب الله عـــز وجل لأنه هو الله وقال رجل لطاووس أوصني ، قال : أوصيك أن تحب الله حبا حـــق لا يكون شيء أحب إليك منه.

فمن عرف نعم الله تعالى أحبه وأقبل عليه :

قال تعالى : : (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فـأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وســـخر لكـــم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كـل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار).

سورة ابراهيم ، آية ٣٤

قال الفخر الرازي في تفسيره :

والتقدير : آتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه و لم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال،ثم إنه تعالى لما ذكر هذه النعـــم ختـــم الكلام بقوله : (وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها) .

واعلم أن الإنسان إذا أراد أن يعرف أن الوقوف على أقسام نعم الله ممتنع ، فعليـه أن يتأمل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه عنه ونحن نذكر منه مثالين :

الأول : أن الأطباء ذكروا أن الأعصاب قسمان ، منها دماغية ومنها نخاعية ، أمـــا الدماغية فإنها سبعة ثم أتعبوا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كل واحد من تلـك السبعة ، ثم مما لا شك فيه أن كل واحد منها تنقسم إلى شعب كثيرة وكل واحـــد

من تلك الشعب أيضا إلى شعب دقيقة أدق من الشعر ولكل واحد منها ممر إلى الأعضاء ولو أن شعبة واحدة اختلت إما بسبب الكمية أو بسبب الكيفية أو بسبب الوضع لاختلت مصالح البنية ، ثم إن تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدا ، ولكل واحدة منها حكمة مخصوصة .

فإذا نظر الإنسان في هذا المعنى عرف أن لله تعالى بحسب كل شظية من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة عظيمة لو فاتت لعظم الضرر عليه وعرف قطعا أنه لا سبيل له إلى الوقوف عليها والاطلاع على أحوالها وعند هذا يقطع بصحة قوله تعالى : (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها) وكما اعتبرت هذا في الشظايا العصبية فاعتبر مثله في الشرايين والأوردة وفي كل واحد من الأعضاء البسيطة والمركبة بحسب الكمية والكيفية والوضع والفعل والانفعال حتى ترى أقسام هذا الباب بحرا لا ساحل له .

وإذا اعتبرت هذا في بدن الإنسان الواحد فاعرف أقسام نعم الله تعالى في نفسك وروحك فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الأفلاك والكواكب وطبقات العناصر وعجائب البر والبحر والنبات والحيوان وعند هذا تعرف أن عقول جميع الخلائق لو ركبت وجعلت عقلا واحدا ثم بذلك العقل يتأمل الإنسان في عجائب حكمة الله تعالى في أقل الأشياء لما أدرك منها إلا القليل ، فسبحانه تقدس عن أوهام المتوهمين .

وأنك إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم ، فانظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها أما الأمور التي قبلها : فاعرف أن تلك اللقمة من الخبز لا تتم ولا تكمل إلا إذا كان هذا العالم بكليته قائما على الوجه الأصوب ، لأن الحنطة لابد منها ، وأنها لا تنبت إلا بمعونة الفصول الأربعة ، وتركيب الطبائع وظهور الرياح والأمطار ، ولا يحصل شيء منها إلا بعد دوران الأفلاك واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصه في الحركات ، وفي كيفيتها في الجهة والسرعة والبطء ثم بعد أن تكون

الحنطة لابد من آلات الطحن والخبز ، وهي لا تحصل إلا عند تولد الحديد في أرحام الجبال .

ثم إن الآلات الحديدية لا يمكن إصلاحها إلا بآلات أخرى حديدية سابقة عليها ولابد من انتهائها إلى آله حديدية هي أول هذه الآلات فتأمل أنها كيف تكونت على الأشكال المخصوصة ، ثم إذا حصلت تلك الآلات فانظر أنه لابد من اجتماع العناصر الأربعة ، وهي الأرض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق ، فهذا هو النظر فيما تقدم على حصول هذه اللقمة ، وأما النظر فيما بعد حصولها : فتأمل في تركيب بدن الإنسان ، وهو أنه تعالى كيف خلق الأبدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة ، وأنه كيف يتضرر الإنسان بالأكل وفي أي الأعضاء تحدث تلك المضار ، ولا يمكنك أن تعرف القليل من هذه الأشياء إلا بمعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية .

فظهر بما ذكرنا أن الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته إلا بمعرفة جملة الأمور، والعقول قاصرة عن إدراك ذرة من هذه المباحث فظهر بهذا البرهان القاهر صحة قوله تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ثم إنه تعالى قال : (إن الإنسان لظلوم كفار) قيل : يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها . وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع ، كفار في النعمة يجمع ويمنع، والمراد أن الانسان ههنا: الجنس ، يعني أن عادة هذا الجنس هو هذا الذي ذكرناه.

إلى أن قال :فإن الإنسان مجبول على النسيان وعلى الملالة ، فإذا وجد نعمة نسيها في الحال وظلمها بترك شكرها ، وإن لم ينسها فإنه في الحال يملها فيقع كفران النعمة، وأيضا إن نعم الله كثيرة فمتى حاول التأمل في بعضها غفل عن الباقي.

البيان النبوي في فضل النعم

إن الذي يقرأ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد فيها بيان فضل المنعم جل جلاله على عباده .

فعن طلق بن حبيب رضي الله عنه قال : (إن حق الله أثقل من أن يقوم به العبد وإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين) .

فنعم الله كثيرة يجب على العباد أن يحمدوا الله عليها وإن كان الحمد نعمة يجب شكرها .

فقد أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن بكر بن عبد الله رضي الله عنه قال:
(ما قال عبد قط الحمد لله إلا وجبت عليه نعمة بقول الحمد لله . فقيل فما جزاء تلك النعمة ؟ قال : جزاؤها أن يقول الحمد لله فجاءت نعمة أخرى فلا تنفذ نعم الله).

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن سليمان التيمي رضي الله عنه قال:
(إن الله أنعم على العباد على قدره وكلفهم الشكر على قدرهم) .

فكلما نظر الإنسان حوله رأى نعم الله تعالى فلو أغمض عينيه لحظة ليعرف فضل نعمة البصر مثلا لسجد شكرا لله تعالى ليلا ونهارا لأن نعم الله تعالى ليست في الطعام والشراب فحسب .

فقد أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن بكر بن عبد الله المزني رضي الله قال :
(يا ابن آدم إذا أردت أن تعرف قدر ما أنعم الله عليك فغمض عينيك) .
كما أخرج البيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :
(من لم يعرف نعمة الله عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه).

فأفضل نعمة على العباد هي معرفة لا إله إلا الله لأنها أكبر نعمة في الدنيا والآخرة.

فقد أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن سفيان بن عيينه رضي الله عنه قال :

(ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله ، وإن لا إلـه إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا) .

فمن عرف نعم الله تعالى علم عجزه عن معرفتها وشكرها .

فقد أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن محمد بن صالح قال :

(كان بعض العلماء إذا تلا : (إن تعدو نعمة الله لا تحصوها) قال سبحان مـن لم يجعل من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد مـن إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شـكرا كما شكر علم العالمين الهم لا يدركونه فجعله إيمانا علما منه أن العباد لا يجـاوزون ذلك).

فلو ظل الإنسان عابدا لله تعالى من بداية الدنيا إلى نهايتها لم يوف شكره سبحانه ولو على أقل نعمة من نعمه .

وقد أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن أبي أيوب القرشي مولى بني هاشم قال :

(قال داود عليه السلام رب أخبرني ما أدنى نعمتك علي ؟ فأوحى الله يـا داود تنفس فتنفس فقال هذا أدنى نعمتي عليك).

ويجب على المؤمن أن يعتقد أنه لو عبد الدهر كله و لم يذنب ذنبا فلم يوف حـق الله تعالى عليه .

فقد أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن وهب بن منبه رضي الله عنه قال عبـد الله عابد خمسين عاما فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك قال يارب ومـا تغفـر لي و لم أذنب فأذن الله تعالى لعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم و لم يصل ثم سكن فنام تلك الليلة فشكا إليه. فقال : ما لقيت من ضربات العرق ؟ قال الملك : إن ربك يقول إن عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذلك العرق).

نعمة العقل المحبة والألفة :

قال اسماعيل حقي في روح البيان(١) مبينا عجزنا عن حصر النعمة فضلا عن شكرها فقال : نعمة الله الفائضة عليكم لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها .فتجاوز عن تقصيركم في شكرها لأنه عظيم الرحمة والنعمة فلا يقطعها عنكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بسبب ما أنتم عليه من العصيان ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرالها ، قال ابن عطاء : إن لك نفسا وقلبا وروحا وعقلا ومحبة ودينا ودنيا وطاعة ومعصية وابتداء وانتهاء وحينا واصلا وفضلا فنعمة النفس الطاعات والإحسان والنفس فيهما تتقلب ونعمة القلب : اليقين والإيمان هو فيهما يتقلب ونعمة الروح : الخوف والرجاء وهو فيهما يتقلب ونعمة العقل : المحبة والألفة والمواصلة والأمن من الهجران وهو فيها يتقلب.

وهذا تفسير قوله (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) واعلم أنه لو صرف جميع عمر الإنسان إلى الأعمال الصالحة وإقامة الشكر لما كافأ نعمة الوجود فضلا عن سائر النعم :

لو عشت ألف عام	في سجدة لربي
شكرا لفضل يوم	لم أقض بالتمام
والعام الف شهر	والشهر الف يوم
واليوم ألف حين	والحين ألف عام

---

(١)راجع روح البيان ج٥ص٢٣

نعم الله تعالى عند الجوهري :

وقد ذكر الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره (١) بيان نعم الله تعالى علينا وما فيها من جمال باهر وابداع ظاهر .

الله أكبر . جل الله وجل العلم وجلت الحكمة ، اللهم إنك أريتنا جمالك في أجسامنا ونظامها وترتيب أعضائها وفيما يتحرك من أعلى إلى أسفل وفي أبعاد كواكبك وفي حركاتها وفيما تنطق به من الأشعار مشاكلة لما أتقنت أنت من حركات الأفلاك وأبعادها ، اللهم إن هذا هو الجمال الذي من حرم منه فقد حرم من مقصود هذه الحياة ومن جمال الحياة الأخرى.

اللهم إن العلم هو السعادة التي بها رأينا ما تنطق به الأطيار من الأسجاع وما ينطق به الإنسان من الأشعار على أوزان نظام أبعاد الكواكب ونظام حركاتها ، هذا هو الجمال وهذه هي السعادة النفسية الباقية الأبدية.

أبو العزائم وحب الله تعالى

يقول الإمام السيد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه في تفسيره (١) عند قوله تعالى: (والذين آمنوا أشد حبا لله) . سورة البقرة ، آية : ١٦٥

يكشف الله تعالى الحجاب عن القلوب التي جعل لها نورا فتشهد جمال الله ظاهرا فيما أظهره في هذا الكون من الحقائق التي أبدعها لخير الأنواع الحية ، وسخرها لبني الإنسان ، فتتجلى لجواهر نفوسهم بعد رفع الحجاب معاني صفات الله تعالى ، فتتصور النفوس التي زكاها الله تعالى رسوم المعلوم بعد العلم .

---

(١) تفسير الجواهر ج٤ ص١٢٣ بتصرف.

(٢) أسرار القرآن ج٢ ص ٦٥٣

فيكون هذا الجمال العلي معاينا بين أعين قلوبهم لا يغيبون عنه ، فلا يمضي نفس أو لمحة أو لحظة إلا وتنبلج لهم حقائق تلك الآيات فتجذبهم بدافع المحبة إلى شهود الحق جل جلاله ، حتى تبلغ المحبة مبلغ الغرام والهيام الذي يستغرق كلية من تفضل الله عليهم بهذا المشهد ، فيفرون إلى الله بالفناء عنهم وعما يحجبهم أو من يحجبهم كما حجب الذين قالوا : (إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)

سورة الأحزاب ، آية : ٦٧

وهم الأنداد من دون الله ، وأهل الجهالة أطاعوهم نصرة للباطل على الحق كما يطيع الهمج الرعاع زعماء السوء من غير بصيرة فيهلكونهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

من أسرار المحبة

وهنا ألمح إليك ببيان رذاذ من غامض المحبة لأنها فوق أن تدرك حقيقتها العقول ، لأنها سر من أسرار الله وغيب من غيوبه سبحانه يتفضل بها على من سبقت لهم الحسنى ، وما تقول في قوم أحبهم الله من الأزل لا لعلم علموه ، ولا لقربة تقربوا بها إليه ، ولكن بمحض الفضل أظهرهم في الكون أحبابا له ، وقال لهم افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وهكذا ظل يستفيض رضي الله عنه في هذه المعاني السامية إلى أن قال: فثبت أن رحمة الله هي اسباغ نعم الكون وأن محبة الله تعالى هي اسباغ نعمة المكون الجاذبه إلى حضرته ، حتى تقع العين على العين فيرى محبوب الله تعالى غيب الغيب ببصره ، قال صلى الله عليه وسلم بسند الإمام البخاري في الحديث الطويل : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فأذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي يتكلم به)) الخ الحديث.

قلوب المشتاقين :

وعلى ذلك فحب الله تعالى يدفع المحبين للشوق إلى الله تعالى .

قال بعض الصالحين : قلوب المشتاقين منورة بنور الله عز وجل وإذا تحرك فيها الاشتياق أضاء نوره ما بين السماء والأرض فيباهي الله عز وجل بهم الملائكة ويقول : أشهدكم ياملائكتي أنني إليهم أشوق .

وقال أبو عبد الله النساج : كل عمل لم يكن فيه محبة الله لم يقبل .

وقال عبد الله بن زيد : مررت برجل نائم في الثلج وعلى جبينه قطرات من العرق فقلت يا عبد الله أما تجد البرد فقال : من شغله حب مولاه لا يجد البرد قلت وما علامة المحب قال : استقلال الكثير من نفسه واستكثار القليل من حبيبه فقلت أوصني فقال : كن لله يكن الله لك .

و قال ابراهيم بن أدهم : دخلت جبل لبنان فاذا أنا بشاب قائم يقول يا من قلبي له محب ونفسي له خادمة وشوقي إليه شديد متى ألقاه؟ فقلت رحمك الله ما علامة حب الله؟ قال : حب ذكره ، قلت فما علامة المشتاق؟ قال : أن لا ينساه في كل حال .

وقال عقبة بن سلمة : ما من ساعة يكون العبد أقرب إلى الله تعالى من حين يخر ساجدا وما من خصلة في العبد أحب إلى الله تعالى من الشوق إليه .

العقاد والحب الإلهي

ويقول العارف بالله الشيخ أحمد العقاد في مشاهدة تجليات الحق تبارك وتعالى:

ويتجلى بالجمال فتقبل إليه الأرواح ، وتبتهج الأشباح فترى عطـــاء مــدرارا ، وتشهد كريما ستارا ، وترى لطفا بك يتوالى ، وعطفا من الودود تعالى ويتجلـــى ، ببسط يشرح الصدور ، وعناية من الغفور الشكور ولسان الحال يقول:

جمــــالك يا ودود به هيـــــامي ولطفك يا حمــــيد به غرامـــــي

وعطفك يا شـــكور به ســـعودي وعفـــوك يا غـفـــور به مـــدامي

وحلمك جاذب قلبي بلـــــــطف إلى دار الســـعادة والســـــلام

ملأت القلب حبا يا مــــــرادي بما توليـــــه من نعـــــم عظام

فواجهني بإحسان ولطــــــــف بأوصاف الجمـــال على الــــدوام

ويتجلى بالجلال فتقشعر الجلود ، وتلين القلوب ، وتنكمش البشرية والفـؤاد من الهيبة يذوب فالجلال يزكي النفوس ويقطع من العبد أسباب الشهوات ويؤهلـــها لحضرة القدوس ، ويسلط عليه البلاء ليرفعه لأعلى الدرجات ، وفي الحقيقة ليس عنـد العارفين جلال ، ولكنه في باطنه جمال، فالمعطي المانع هو الله ، والضار النـــافع رب العباد جل علاه ولسان العارف يقول :

جلالك فيه تزكية النفـــوس وفي معنـــاه راح في الكئـــوس

يزكي النفس يرفعـــها فيبقى لها مثل الحلي لـــدى العـروس

يرى في منعه من عطـــــاء تأمل وانتبه وافهم دروســــــي

فإن جلال ربي فيه ســـــر يصـــير آله مثل الشـــموس

محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم

هذا ولما كانت الخصلة الأولى من الحديث تشتمل على حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كان لزاما علينا بيان محبة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن سبق بيان محبة الله تعالى .

وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد ورد الأمر بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القران العظيم والسنة النبوية فمن القرآن الكريم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم آمرا له أن يقول لنا (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

سورة التوبة آية : ٣٥

قال القاضي عياض : فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى من كان ماله وأهله وولده احب إليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل و لم يهده الله .

وأما السنة النبوية المطهرة فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)).

رواه البخاري ومسلم والنسائي

وفي رواية مسلم : ((لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين)).

وفي رواية الإمام أحمد : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه)).

وفي رواية البخاري عن عبد الله بن هشام قال : قال صلى الله عليه وسلم :

((لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك)) مخاطبا به لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

وعن علي رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم :

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فان حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه)).

رواه الديلمي والشيرازي وابن النجار

علامات المحبة

وقد أشار صلوات الله وسلامه عليه إلى بعض علامات المحبة وهي تمني رؤيته ولو بأهله وماله .

فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(أشد أمتي لي حبا قوم يكونون بعدي يود أحدهم أنه فقد أهله وماله وأنه رآني).

رواه مسلم

وعن أبي هريرة قال :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله)

رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني ثم لان يراني أحب إليه من أهله وماله معهم) رواه البخاري

قال النووي أي رؤيته اياي افضل عنده وأحظى من أهله وماله. وفي رواية أخرى عن أبي هريرة : (ليأتين على أحدكم يوم لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله) رواه سعيد بن منصور

وبين صلى الله عليه وسلم أن الإيمان لا يتم إلا إذا كان المؤمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من حبه لنفسه ويحب أهله أكثر من حبه لأهله وعترته أكثر من عترته.

فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهلي أحب إليه من أهله وعترتي أحب إليه من عترته).

رواه الطبراني والبيهقي

وبشر صلوات الله وسلامه عليه المحب الذي اختلط قلبه بحبه صلى الله عليه وسلم بتحريم جسده على النار فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما اختلط حبي بقلب أحد فأحبني إلا حرم الله جسده على النار)

رواه أبو نعيم ورمز السيوطي لصحته .

وقال الحفني عند قوله (حرم الله جسده على النار) فلا يدخلها أصلا بل يدخل الجنة مع السابقين.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمحق للخطايا من الماء للنار والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الأنفس ومن الضرب في السيف في سبيل الله).

رواه ابن عساكر والأصبهاني عن أبي بكر موقوفا وحكمه الرفع .

ولقد بلغ الصحابة الأجلاء قمة المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعض الصحابة لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله علبه وسلم .

المواهب اللدنية :

قال شهاب الدين القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية في وجوب محبته صلى الله عليه وسلم :

فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من مهلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الأليم ما لا يفنى ولا يزول وإذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم فقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وخلصنا من نار الجهل إلى جنات المعارف والإيقان فهو السبب لبقاء مهجتنا البقاء الأبدي في النعيم السرمدي فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلينا فلا منة لأحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان في منبت كل شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا.

تقديم محبته صلى الله عليه وسلم على النفس :

عن عبد الله بن هشام إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : (لأنت أحب إلي من كل شئ إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال له

عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر).

رواه البخاري

قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه الهلاك وأما وتوقفه رضي الله عنه في أول امره واستثناؤه نفسه فلان حب الإنسان نفسه طبع وحب غيره اختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع. ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الآن يا عمر أي الآن عرفت فنطقت بما يجب عليك .

ولما قيل يوم أحد قتل محمد صلى الله عليه وسلم وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها قتلى لا تدري بأيهم استقبلت فكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب).

أي : هلاك .

رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي

واعلم أنه لا يمكن ان يجمع في القلب حبان أي حبه وحب الدنيا فإن المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب فليتخير المرء لنفسه محبوبا كائنا ما كان كما قيل :

أنت القتيل بأي من أحببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فيجب علينا أن لا نختار حبيبا غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بل نقدمه في المحبة على الأنفس والآباء والأبناء إذ لا يتم الإيمان إلا بها لان محبته تعني محبة الله تعالى .

ولابن أبي المجد سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه :

ألا يا محب الله فازدد صبابة — وضمخ لسان الذكر منك بطيبه

ولا تعبأن بالمبطلين فإنما — علامة حب الله حب حبيبه

تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على الوالد والولد:

وكذلك أمر الله عز وجل بمحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وتبجيله وتوقيره ، وجعلها فرضا لازما وأوجب تقديم محبة نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم على محبة الوالد والولد والمال والناس .

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)).

رواه البخاري

وأقسم صلى الله عليه وسلم على نفي الإيمان الكامل عمن لم يقدم محبته صلى الله عليه وسلم على محبة الوالد والولد .

و لم يذكر الأم لأنها تدخل في لفظ الوالد ، لأنه أريد به الوالدين فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر .

وكذلك يجب تقديم محبته صلى الله عليه وسلم على المال والناس أجمعين :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) .

متفق عليه.

وفي رواية مسلم : (حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)).

وفي رواية لمسلم : (لا يؤمن عبد — وفي رواية الرجل — حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين).

معنى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن معنى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الميل والموافقة لمراد رسول الله تعالى أي لكل أمر يحبه والبغض لكل شيء يبغضه.

قال القاضي عياض في كتاب (الشفا) اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال .

فقال سفيان : المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه التفت إلى قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

سورة آل عمران آية : ٣١

وقال : بعضهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته .

وقال بعضهم : المحبة دوام الذكر للمحبوب .

وقال آخر : إيثار المحبوب .

وقال بعضهم : المحبة الشوق إلى المحبوب.

وقال بعضهم : المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره .

وأكثر العبارات المتقدمة إشارات إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة كحب الصالحين

والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم وإخذام النفوس.

أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت أنه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة .

أنواع المحبة :

قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما رحمة الله عليهم : المحبة ثلاثة أقسام:

محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد .

ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس .

ومحبة شفقة ورحمة ، كمحبة الولد .

فجمع صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة فيه وقال ابن بطال رحمه الله تعالى: معنى الحديث ، أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي صلى الله عليه وسلم آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن به صلى الله عليه وسلم استنقذنا من النار وهدينا من الضلال.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى : ومن محبته صلى الله عليه وسلم ، نصرة سنته ، والذب عن شريعته ، وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه .

المحبة الحقيقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تتجلى في اتباع سنته بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه والاقتفاء لآثاره والزهد في الدنيا ومجانبة أهل الغفلة والهوى وحب المساكين وكثرة ذكره والشوق إلى لقائه في الآخرة ورؤيته في المنام وزيارته في الدنيا ومحبة كل ما يحبه صلى الله عليه وسلم .

وجوب محبته لأن الله يحبه :

لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى إذا أحب عبدا يحبه جبريل عليه السلام وأهل السماء ويوضع له القبول في الأرض .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ن الله إذا احب عبدا دعا جبريل فقال : إني أحب فلانا فأحبه ، قال فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض)). متفق عليه.

فقوله : ((يوضع له القبول في الأرض)) أي : يحبه أهل الأرض ويقبلون عليه ، فمن باب أولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لم يحبه صلى الله عليه وسلم ويقدم محبته فهو محروم من فضل الله تعالى لأن هذا الرسول العظيم هو حبيب الله وخليله.

قال صلى الله عليه وسلم : ((لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا)).

رواه البخاري واللفظ له.

أي يقصد نفسه صلى الله عليه وسلم أنه خليل الله وحبيبه فيجب علـــى كـــل مسلم يحب الله تعالى أن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا فليس بمؤمـــن مستكمل الإيمان.

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله وأحبو آل بيتي لحبي)

رواه الترمذي.

المحبة هي قوت القلوب :

قال القرطبي : كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صحيحا لا يخلو عـــن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة غير أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبـــا بالغفلات في أكثر الأوقات لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ويجـــد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته صلى الله عليـــه وسلم غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات .

فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله اذ لا يدخل في الاســـلام إلا بهـــا والنـــاس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهتـــه عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك أن

حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم

وهذه الصحابية الجليلة التي فقدت أعز الناس إليها في الحياة وهم أبوها وأخوها وزوجها ولكنها لم تنسى حبيبها صلى الله عليه وسلم بل أظهرت أن هؤلاء جميعا ليسوا شيئا بجانب وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذلك إلا كمال الحب للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال العلامة العارف بالله تعالى الشيخ يوسف النبهاني اعلم أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المترلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون وعليها يتفانى المحبون وبروح نسيمها يتروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات وهي روح الإيمان والأعمال والأحوال والمقامات .

فالإيمان لا يتم إلا بعد تقديم محبته صلى الله عليه وسلم على الوالد والولد والناس أجمعين .

فقد روى انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) رواه البخاري

قال القاضي عياض : ان ذلك شرط في صحة الايمان لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال .

وقيل إن اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الإنسان إعظام شئ مع خلوه من محبته فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه .

المحبة حياة القلوب

وعلي ذلك فإن حياة القلب إنما تكون بمحبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا للمحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم

واطمأنت نفوسهم إليه وهامت قلوهم به حتى تنعموا بقربه وذاقوا حلاوة محبته لأن في القلب ظمأ شديدا لا يروى إلا بمحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال صاحب المدراج ولن يصل العبد إلى هذه المترلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي إليه بطريق توصله إليه ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب لها بكليته ويزهد في المتعلقات الفانية ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه وطلبه والشوق إليه فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واستولت روحانيته على قلبه فجعله إمامه وأستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته صلى الله عليه وسلم ومبادئ أموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه إلى غير ذلك مما منحه الله تعالى حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه .

لماذا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

إن محبتنا لرسولنا صلى الله عليه وسلم لأمور كثيرة ومنها أن الله عز وجل أوجب محبته وطاعته ، وقرهما بمحبته سبحانه وطاعته ، وقد مرت الآيات والأحاديث الدالة على ذلك ، وهي في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم صريحة واضحة.

ولأن الله تعالى أحبه واختاره من خلقه واصطفاه لرسالته وفضله على جميع مخلوقاته كما قال صاحب الجوهرة :

وأفضل الخلق على الإطلاق نبيا فمل عن الشـــــقاق

وكذلك رحمته بأمته ، وحرصه على هدايتها وإنقاذها من النار ، وهـــذه أبــرز صفاته صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليـه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم).

سورة التوبة ، آية : ١٢٨

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنـــهما قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى : (رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم)

سورة ابراهيم ، آية : ٣٦

وقول عيسى عليه السلام : (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنـــت العزيز الحكيم)

سورة المائدة ، آية : ١١٨

فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل ، اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله : ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره بما قال وهو أعلـم ، فقال الله ياجبريل ، اذهب إلى محمد ، فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ، ولا نسوؤك)

ولذا كان من عطفه صلى الله عليه وسلم أنه ادخر شفاعته إلى يــوم القيامــة ، لتكون لأمته .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لكل نـــبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا)

رواه مسلم .

وكذلك كان دائما يدعو لأمته .

فقد أخرج البراز عن عائشة رضي الله عنها قالت : " لما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم طيب نفس قلت : يا رسول الله ادع الله لي ، قال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرت وما أعلنت فضحكت عائشة ، حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيسرك دعائي ؟ فقالت : وما لي لا يسرني دعاؤك؟ فقال : والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة)

قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقه.

وكذلك نحبه صلى الله عليه وسلم لحسن خلقه ورفقه بأمته .

فقد ورد أن أعرابيا : جاء يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال : أحسنت إليك يا أعرابي؟ قال الأعرابي : لا ولا أجملت ، فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم : أن كفوا ، ثم قال ودخل مترله ، وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ، ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنك قلت ما قلت ، وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ، حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال : نعم فلما جاء الغد أو العشي جاء فقال : عليه الصلاة والسلام : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك ؟ قال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال عليه الصلاة والسلام : مثلي ومثل هذا الرجل مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي ، فإني أرفق منكم بها وأعلم، فتوجه لها بين يديه فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار) .

ومن عطفه كان عليه الصلاة والسلام يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته .

ودخل الحسن وهو يصلي فركب ظهره وهو ساجد فأبطأ صلى الله عليه وسلم في سجوده حتى نزل الحسن ، فلما فرغ قال له بعض أصحابه : لقد أطلت سجودك، قال : إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله)..

ومن عفوه ما فعله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فاتحا مطأطأ رأسه على رحله ، وقال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء)

إلى غير ذلك من تواضعه وحسن عشرته ، وكمال أدبه ، وبسط خلقه التي لا تدرك ، وصدق فيه قول رب العالمين : (وإنك لعلى خلق عظيم)

سورة القلم ، آية : ٤

قال سيدنا علي رضي الله عنه : (كان صلى الله عليه وسلم أوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة).

وقال قيس بن سعد بن عبادة : (زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد أن ينصرف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة ، فركب ، ثم قال سعد : يا قيس اصحب رسول الله، قال قيس : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال : إما أن تركب، وإما أن تنصرف ، فانصرفت .

وقد قيل في وصفه صلى الله عليه وسلم :

كان دائم البشر ، لين الجانب ،ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عياب ، ولا مداح ، يتغافل عما لا يتشهي .

وكان يجيب من دعاه، ويقبل الهدية ويكافئ عليها ، قال أنس : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي : أف قط وما قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته؟

وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ اصحابه بالمصافحة و يكرم من دخل عليه وربما يسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبي ، ويكنى أصحابه ، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمه لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام .

وكان أكثر الناس تبسما ، وأطيبهم نفسا وأوفاهم عهدا فقد روى عبدالله بن أبي الحماء ، قال : (بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية ، فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث ، فجئت فإذا هو في مكانه فقال : يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك).

وقال أنس : (كان عليه الصلاة والسلام إذا أتي بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيت فلانة ، إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وكانت صديقة لها ، إنها كانت تحب خديجة).

ولما قدم وفد النجاشي ، قام عليه الصلاة والسلام بنفسه يخدمهم ، فقال له أصحابه : (نحن نكفيك ، فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم) .

وكان يبعث إلى ثويبة ، مولاة أبي لهب بصلة وكسوة لأنها أرضعته ، فلما ماتت، سأل : هل بقي من قرابتها أحد؟ فقيل : لا أحد .

إلى غير ذلك من كمال نظافته ، وفصاحة لسانه ، وبلاغة كلامه ، وشجاعته ، ونجدته وحيائه ، وإغضائه ، وعدله وأمانته ، وعفته ،وصدق لهجته وقد تكفلت كتب السيرة بذلك .

هذا وإن بعض هذه الصفات لو وجدت في إنسان لجعلته يستأثر بمحبة الناس وتقديرهم ، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يترك خصلة من خصال الخير ولا خلة من الخلال الحميدة إلا اتصف بها ، وتخلق بها على الوجه الأكمل

فكل مسلم يجب عليه أن يحب الحبيب صلى الله عليه وسلم وأن يحب كل ما يحبه صلى الله عليه وسلم .

بعض صفاته صلى الله عليه وسلم

وهذه بعض صفات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم كما ذكرها المناوي في فيض القدير .

فرواه البخاري عن البراء :

(كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير).

وروى ابن سعد عن أنس : (كان أحسن البشر قدما).

وروى مسلم عن أنس : (كان أحسن الناس خلقا)

وروى البخاري عن أنس : (كان أحسن الناس ، وأجود الناس وأشجع الناس).

وروى البيهقي عن أبي هريرة : (كان أحسن الناس صفة وأجملها كان ربعة إلى الطول ما هو بعيد مابين المنكبين أسيل الخدين[1] ، شديد سواد الشعر ، أكحل العينين[2] ، أهدب الأشفار ، إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وليس له إخمص ، إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة من فضة[3] وإذا ضحك يتلألأ).

وروى مسلم عن أنس : (كان أزهر اللون كأن عرقة اللؤلؤ إذا مشى تكفأ).

وروى البخاري عن أبي سعيد : (كان أشد حياء من العذراء في خدرها).

وروى ابن سعد عن اسماعيل بن عياش : (كان أصبر الناس على أقذار الناس).

وروى الترمذي عن ابن عباس : (كان أفلج الثنيتين ، إذا تكلم رؤيء كالنور يخرج من بين ثناياه).

وروى الترمذي عن أبي سعيد (كان خاتم النبوة في ظهره بضعة ناشزه) .

---

(١) أسيل الخدين : قليل اللحم رقيق الجلد .

(٢) أكحل العينين : شديد السواد أجفانها .

(٣) سبيكة من فضه : يلمع ويضئ .

وروى الترمذي عن أبي سعيد : (كان خاتمة غدة حمراء[1] مثل بيضة الحمامة).

وروى البخاري عن أنس : كان ربعة[2] من القوم : ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم وليس بالجعد القطط ولا بالسبط).

وروى البيهقي عن أبي هريرة : (كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين، أهدب أشفار العينين).

وروى الترمذي عن عائشة : (كان شعره دون الجمة [3] ، وفوق الوفرة) .

وروى الترمذي عن ابن عمر : (كان شيبه نحو عشرين شعرة) .

وروى الحاكم عن جابر بن سمرة : (كان في ساقيه حموشة) .

روى أبوداود عن جابر : (كان في كلامه ترتيل أو ترسيل) .

وروى مسلم عن جابر بن سمرة : (كان كثير شعر اللحية) .

وروى أبو داود عن عائشة : (كان كلامه كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه) .

وروى مسلم عن جابر بن سمرة : (كان وجهه مثل الشمس والقمر ، وكان مستديرا) .

وروى البيهقي في الشعب عن عائشة : (كان أبغض الخلق إليه الكذب) .

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس : (كان أحب الألوان إليه الخضرة) .

وروى أبو نعيم عن ابن عباس : (كان أحب التمر إليه العجوة) .

وروى أبو داود عن أم سلمة : (كان أحب الثياب إليه القميص) .

وروى البخاري عن أنس : (كان أحب الثياب إليه الحبرة) .

---

(١) كان خاتم غدة حمراء مثل بيضة الحمامة حمراء أي تميل إلى الحمرة

(٢) ربعة : أي مربوعا . (٣) الجمة : أي فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه ومسترسل إلى المنكب

وروى البخاري عن عائشة : (كان أحب الدين إليه ماداوم عليه صاحبه) .

وروى الطبراني عن أنس : (كان أحب الرياحين إليه الفاغية) .

وروى ابن السني عن مجاهد مرسلا : (كان أحب الشاة إليه مقدمها) .

وروى الإمام أحمد عن عائشة : (كان أحب الشراب إليه الحلو البارد).

وروى أبو نعيم عن ابن عباس : (كان أحب الشراب إليه اللبن) .

وروى ابن السني عن عائشة : (كان أحب الشرب إليه العسل).

وروى الطبراني عن ابن أبي أوفي : (كان أحب الصبغ إليه الصفرة).

وروى أبو داود عن ابن عباس : (كان أحب الطعام إليه الثريد[1] من الخبز ، والثريد من الحيس) .

وروى أحمد عن ابن مسعود : (كان أحب العراق[2] إليه ذراع الشاه).

وروى الترمذي عن عائشة : (كان أحب العمل إليه مادووم عليه وإن قل) .

وروى مسلم عن أنس : (كان أخف الناس صلاة في تمام) .

وروى أحمد عن أبي واقد : (كان أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه) .

وروى أبو داود عن أبي سعيد : (كان إذا جلس احتبى بيديه) .

وروى أبو داود عن عبدالله بن سلام : (كان إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء).

وروى ابن سعد عن عائشة : (كان إذا خلا بنسائه ألين الناس(٣) ، وأكرم الناس ضحاكا بساما) .

---

(١) الثريد من الخبز : أن يثرد الخبز أي يفتت ثم يبل بمرق وقد يكون معه لحم

(٢) العراق : أكل اللحم من على العظم .

(٣) ألين الناس : وكان من تلطفه بهم إذا سلم عليهم بالليل سلم تسليما لايوقظ النائم ويسمع اليقظان. ذكره مسلم.

وروى البخاري عن عائشة : (كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك) .

وروى ابن حبان عن أبي بن كعب : (كان إذا ذكر أحد فدعا له بدأ بنفسه) .

وروى البخاري عن كعب بن مالك:(كان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر)

وروى الحاكم عن جابر : (كان إذا مشى لم يلتفت) .

وروى ابن ماجه عن جابر : (كان إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظـهره للملائكة).

وروى ابن ماجه عن ابن عمر : (كان أكثر أيمانه لا ومصرف[1] القلوب).

روى الترمذي عن ابن عمرو : (كان أكثر دعائه : يا مقلب القلوب ثبت قلـبي على دينك) فقيل له في ذلك قال: إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ، ومن شاء أزاغ).

وروى البخاري عن أنس : (كان أكثر دعوة يدعو بها : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار) .

وروى الحاكم عن أنس : (كان تنام عيناه ولا ينام[2] قلبه) .

وروى مسلم عن عائشة : (كان خلقه القرآن) .

وروى الطبراني عن أبي أمامة : (كان من أضحك[3] الناس وأطيبهم نفسا) .

---

(١) لا ومصرف القلوب : في رواية البخاري لا مقلب القلوب . لا أفعل وأقول وحق مقلب القلوب لأن الله تعالى يتولى قلوب عباده ولا يكلها إلى أحد من خلقه .

(٢) ولا ينام قلبه : لأن الوحي الذي يأتيه في نومه ورؤيا الأنبياء وحي.

(٣) كان أضحك الناس ، لا ينافيه خبر أنه كان لا يضحك إلا تبسما.

مزيد ايضاح لبعض الصفات

وهذا مزيد ايضاح لبعض صفات الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم التي أكـــرم الله بها حبيبه صلى الله عليه وسلم لأن المحب الصادق يريد أن يعرف صفات حبيبه ليتمثلها دائما في قلبه وعقله .

فمن كمال المحبة التي كانت في قلوب الصحابة الأجلاء أنهم لا يملأون أعينهم منه صلى الله عليه وسلم إجلالا له صلى الله عليه وسلم.

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : (وما كان أحد أحب إلي من رســول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منــــه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه).

روه مسلم

هذا وقد حاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الصفات الخلقية والخلقية التي تدل على الكمال البشري في كل شيء فمن ذلك : حسن طوله صلـــى الله عليــه وسلم.

حسن طول حبيبي صلى الله عليه وسلم :

عن البراء رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(رجلا مربوعا ، بعيد ما بين المنكبين ، عظيم الجمة [1] إلى شحمة أذنيه عليــــه حلة حمراء ما رأيت شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم).

رواه مسلم

---

(١)الجمة : أي فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه ومسترسل إلى المنكب.

وفي رواية لمسلم أيضا عن البراء : (بعيد ما بين المنكبين ليس بالطويل ولا بالقصير).

حسن لون حبيبي صلى الله عليه وسلم :

فعن الجريري عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال :

(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على وجه الأرض رجل رآه غيري ، قال فقلت له : فكيف رأيته ؟ قال : كان أبيض مليحا مقصدا [1]) .

رواه مسلم

جمال وجه حبيبي صلى الله عليه وسلم :

عن أبي أسحاق قال : (سئل البراء أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف ، قال : لا بل مثل القمر) .

رواه البخاري

وروى أيضا عن كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث حين تخلف عن تبوك قال: (فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر).

شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن قتادة قال : قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه : (هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم يبلغ ذلك[1] ، إنما كان شيئا في صدغيه ولكن أبا بكر رضي الله عنه خضب[2] بالحناء والكتم). [3]

رواه البخاري

وقد جاء في صحيح البخاري : (أن الشعر الأبيض كان في عنفقته. وهي ما بين الذقن والشفة السفلى).

---

(١) يقصد أنس أنه لم يكن شعره يحتاج إلى خضاب ، وقيل : ماعد في رأسه ولحيته صلى الله عليه وسلم إلا أربع عشرة شعرة بيضاء) .

(٢) وخضب أبو بكر بالحناء أي : صبغ بورق الآس

(٣) الكتم : نبت يخلط مع الوسمة للخضاب.

وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه ، قال : (ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء).

رواه الترمذي

وسئل جابر بن سمرة ، عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (كان إذا دهن رأسه لم يرمنه شيب ، فإذا لم يدهن رئي منه).

رواه مسلم

وعن أبي جحيفة قال : قالوا : (يا رسول الله نراك قد شبت) قال : (شيبتني هود وأخواتها). رواه أبو يعلى الموصلي

وعن أبي رمثة التميمي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي قال : فأريته ، فقلت: رأيته : هذا نبي الله وعليه ثوبان أخضران ، وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر).

رواه الترمذي

اكتحال حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اكتحلوا بالإثمد[1] ، فإنه يجلو البصر ، وينبت الشعر) .

رواه الترمذي

وهذا إن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة ، يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه، وقال : (من اكتحل فليوتر).

رواه أبو داود

---

(١) الإثمد : الحجر المعدني الذي يكتحل به.

لباس حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص [1]).

رواه الترمذي

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : : (كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ).

رواه الترمذي

وقد أخرج الدمياطي : " كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين"

وقيل بأن تفضيل القميص لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أستر للأعضاء .

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة لنبايعه وإن قميصه لمطلق أو قال : زر قميصه مطلق ، قال : فأدخلت يدي في جيب[2] قميصه فمسست الخاتم). رواه الترمذي

وعن أنس بن مالك : (أن النبي صلى الله عليه وسلم ،خرج وهو متكئ على أسامة بن زيد ، عليه ثوب قطري ، قد توشح[3] به فصلى بهم[4]) .رواه الترمذي

---

(١) القميص : ثوب مخيط بكمين تحت الثياب.

(٢) جيب القميص : طوقه الذي يخرج الرأس منه ويحيط بالعنق وقوله فأدخلت يدي يقتضي أن جيب قميصه في صدره .

(٣) توشح : أي قد تغشى به ، أي أدخل الثوب تحت يده اليمنى وألقاه على منكبه الأيسر كما يفعل المحرم.

(٤) فصلى بهم : قيل : إنها آخر صلاة للرسول صلى الله عليه وسلم مع القوم في مرضه الذي قبض فيه في ثوب واحد متوشحا به قاعدا.

الثياب البيض :

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الثياب البيض ويأمر بلبسها .

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عليكم بالبياض من الثياب ، ليلبسها أحياؤكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، فإنها من خيار ثيابكم). رواه الترمذي

وعن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم) .

رواه الترمذي

نعل حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن قتادة قلت لأنس : كيف كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال :

((لهما قبالان[١])). رواه الترمذي

وذكر ابن الجوزي : أنه كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيران ، يضع أحدهما بين إبهام رجله والتي تليها ، ويضع الآخر بين الوسطى والتي تليها : ويجمع السيرين إلى السير الذي على وجه قدمه صلى الله عليه وسلم وهو الشراك[٢] ،وليس بينه وبين الأول تدافع ، لأن الزمام في النعل بين الوسطى والتي تليها سواء جعل بينهما أو بين إصبعين آخرين.

وعن عبيد بن جريج أنه قال لابن عمر : (رأيتك تلبس النعال[٣] السبتية . قال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ[٤] فيها ، فأنا أحب أن ألبسها). رواه الترمذي

---

(١) والقبال : سير وهو زمام النعل ، الذي يكون بين الأصبعين الوسطى والتي تليها ،

(٢) شراك النعل هو : الذي على ظهر القدم . (٣) لنعال السبتية : أي التي حلق عنها

(٤) شعرها ، يتوضأ فيها : أي فوقها أو وهو لابسها .

وكان صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ويأمر به في لبس النعل وخلعه فعـــن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا انتعل أحدكـــم فليبدأ باليمين ، وإذا نزع فليبدأ بالشمال فلتكن اليمنى أولهما لبسا وآخرهما نزع)).

رواه الترمذي

خاتم حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان خاتم[1] النبي صلى الله عليه وســـلم من ورق[2] وكان فصه[3] حبشيا [4]).

رواه مسلم

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان نقش خاتم النبي صلـــى الله عليـــه وسلم : محمد سطر ورسول سطر ، والله سطر).

رواه البخاري

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه).

رواه مسلم

سيف حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أنس قال : (كانت قبيعة [5] سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــــن فضة) رواه الترمذي

---

(١) الخاتم: الذي يختم به (٢) ورق : فضة .

(٣) فصه : المراد به ما ينقش فيه اسم صاحبه . (٤) حبشيا : حجرا منسوبا إلى الحشبة

(٥) والقبيعة : ما على رأس مقبض السيف من فضة أو حديد أو غيرهما.

درع حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن الزبير بن العوام قال : (كان على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان فنهض إلى الصخرة ، فلم يستطع ، فأقعد طلحة تحته فصعد النبي صلى الله عليه وسلم، حتى استوى على الصخرة ، قال : فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((أوجب طلحة)).

رواه الترمذي

عمامة حبيبي رسول صلى الله عليه وسلم :

عن جابر قال : (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، وعليه عمامة سوداء) .

رواه الترمذي

وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب ، وكان يلبس تحتها القلانس ، وهي غشاء مبطن يستر به الرأس .

وعن جعفر بن عمرو عن أبيه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عمامة سوداء)

رواه الترمذي

رداء حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ذكر ابن الجوزي عن عروة قال : (كان طول رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعين ونصفا) .

ونقل ابن القيم عن الواقدي : (أن رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان طوله ستة أذرع في ثلاثة أذرع).

وعن أبي بردة قال :

(أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا ، وإزارا غليظا . فقالت : قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين) .

مشية حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى في وجهه ، وما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما الأرض تطوى له [١]،وإنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث). رواه الترمذي

تقنع حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القناع[٢] كأن ثوبه ثوب زيات). رواه البخاري

جلسة حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن قيلة بنت مخرمة ، أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء[٣] فقالت : (فلما رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم المتخشع[٤] في الجلسة ارتعدت[٥] من الفرق). رواه الترمذي

---

(١) الأرض تطوى له : أي تجمع ، وتعل مطوية تحت قدمه .

(٢) القناع : هو تغطية الرأس بطرف العمامة . أو برداء أعم من أن يكون فوق العمامة أو تحتها ، وقيل المراد : هنا خرقة تلف على الرأس بعد استعمال الدهن محافظة على العمامة .

(٣) القرفصاء : هي حلسة المحتبي يقال : قرفص الرحل إذا شد يديه تحت رحليه والمراد هنا أن يقعد على إليتيه ، ويلصق فخذيه ببطنه ، ويضع يديه على ساقيه. وقيل : هو أن يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه.

(٤) المتخشع : المراد ظهور الخشوع في الجلسة وكيفية قعدته المتضمنة إظهار عبوديته لله تعالى .

(٥) ارتعدت من الفرق : حصلت لي رعدة من الخوف الإلهي المستفاد من التواضع النبوي .

اتكاء حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن جابر بن سمرة قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا[1] على وسادة على يساره).

رواه أبو داود

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا أحدثكم بأكبر الكبائر)) قالوا : بلى يا رسول الله قال : ((الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين)) وقال: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا ، وقال : ((وشهادة أو قول الزور)) قال : فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها ، حتى قلنا ليته يسكت).

رواه البخاري

وعن أبي جحيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أما أنا فلا آكل[2] متكئا)).

رواه البخاري

وقال ابن حجر : أن يجلس على ركبتيه وظهور قدميه ، أو ينصب الرجل اليمنى على اليسرى.

---

(١) متكئا : أي ما يتكأ عليه من وسادة وغيرها .

(٢) فلا آكل متكئا : أي آكل مائلا إلى أحد الشقين ، معتمدا عليه وحده ، أو لا آكل وأنا متمكن من القعود ، أولا آكل وأنا مسند ظهري إلى شيء ، والسنة في الأكل كما قال القسطلاني ، أن يقعد مائلا إلى الطعام ومنحنيا عليه .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شاكيا[1] فخرج يتوكأ على أسامة ، وعليه ثوب قطري[2] قد توشح به فصلى بهم).

رواه الترمذي

أكل حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن كعب بن مالك عن أبيه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلعق[3] أصابعه ثلاثا).

رواه ابن أبي شيبة

عن كعب بن عجره رضي الله عنه : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاثة الإبهام والتي تليها والوسطى وكان يلعقها قبل أن يمسحها ، يلعق الوسطى ، ثم التي تليها ، ثم الإبهام) .

رواه الطبراني

قال أبو بكر ابن العربي : إن شاء أحدكم أن يأكل بخمس فليأكل : فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يفرق العظم وينهش اللحم ولا يمكن تحقيق ذلك عادة إلا بالخمس .

---

(١) شاكيا : أي مريضا .

(٢) قطري :نوع من البرد غليظ قد توشح به .

(٣) يلعق : أي يلحس أصابعه بعد الفراغ من الأكل لا في أثنائه وذلك أن يغسلها محافظة على البركة ولقد ورد: أن اللعق في ثلاث أصابع ، وأن اللعق ثلاث لكل إصبع).

خبز حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما شبع(١) آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم).

رواه البخاري

طعام حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((نعم الإدام الخل))

رواه مسلم

وقيل : لأنه سهل نافع ، قامع للصفراء.

والسبب لهذا الحديث : أن رسول الله سأل أهله الأدم فقالوا : ما عندنا إلا خل فدعا به فجعل يأكل ويقول : ((نعم الإدام الخل))

أخرجه مسلم والترمذي

وقيل بأن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ذلك : جبراً وتطييبا لقلب من قدمه .

وعن زهدم الجرمي قال : (كنا عند أبي موسى فأتى بلحم دجاج فتنحى رجل من القوم فقال : مالك ؟ إني رأيتها تأكل شيئا فحلفت أن لا آكلها ، قال : ادن فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم دجاج).

رواه البخاري

---

(١) ما شبع آل محمد : أي عياله الذين كانوا في مؤنته وليس المراد بهم من تحرم عليهم الصدقة .

وعن أبي أسيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كلوا(١) الزيت وادهنوا(٢) به فإنه من شجرة مباركة(٣)))

رواه أحمد

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الدباء(٤) فأتى بطعام(٥) أو دعي له فجعلت أتتبعه(٦) فأضعه بين يديه لما أعلم أنه يحبه) .

رواه أحمد

وعن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الخلاء فقرب إليه الطعام فقالوا : ألا نأتيك بوضوء ؟ قال : ((إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة)) .

رواه مسلم

وعن ابن عباس قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط ، فأتى بطعام فقيل له ألا تتوضأ ؟ قال : لم لأصلي فأتوضأ) .

رواه مسلم

---

(١) كلوا الزيت : أي كلوه مع الخبز واجعلوه إداما .

(٢) وادهنوا به : أي ادهنوا به شعر رؤوسكم أو ما شئتم من أجسامكم .

(٣) فإنه من شجرة مباركة : أي فإن هذا الزيت يخرج من شجرة مباركة وهي الزيتونه ، وهي مباركة لكثرة منافعها ، ولأنها تنبت بالأرض المقدسة .

٤) الدباء : وهو القرع أي ثمر شجر اليقطين .

٥) فأتي بطعام : أي فيه دباء .

٦) فجعلت أتتبعه : أي أطلب الدباء من حوالي القصعة .

قول الحبيب صلى الله عليه وسلم قبل الطعام وبعده

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : (كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقرب طعام فلم أر طعاما كان أعظم بركة منه أول ما أكلنا ، ولا أقل بركة في آخره ، قلنا يا رسول الله ، كيف هذا ؟ قال :

((إنا ذكرنا اسم الله تعالى حين أكلنا ، ثم قعد من أكل لي و لم يسم الله فأكل معه الشيطان)).

رواه الإمام أحمد

وعن عمر بن أبي سلمى أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده طعام فقال : ((ادن يابني فسم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك)).

رواه الترمذي

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين)) .

رواه الإمام أحمد

فاكهة حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن جعفر قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب) .

رواه البخاري وأحمد

والفاكهة : هي الثمار كلها ، وقيل : بل ما عدا التمر والرمان .

وعن عائشة رضي الله عنها : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ بالرطب) .

رواه أبو داود

وقد علل الدكتور حسن عباس زكي ذلك في كتابه (١)

فقال : وقد علم من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل الغذاء ويدبره ، فكان لا يجمع بين حارين ولا باردين ، ولا لزجين ولا قابضين ، ولا مسهلين ولا غليظين ، ولا بين لبن وسمك، ولا بين لبن وحامض ، ولا بين شوى وبطيخ ، ولا بين طـــري وقديد ، ولا بين لبن وسمك و لم يشرب على طعامه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا بـــه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : ((اللهم بارك لنا في ثمارنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ومدنا ، اللـــهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعـــوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه، قال يدعو أصغر وليد يراه فيعطيـــه ذلـــك الثمر).

رواه مسلم

شراب حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان أحب الشراب إلى رسول الله صلـــى الله عليه وسلم الحلو البارد). رواه الحميدي

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (دخلت على رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على يمينه وخالد عن شماله ، فقال لي ((الشربة لك إن شـــئت آثرت بها خالدا ، قلت : ما كنت لأوثر على سؤرك أحدا))

.رواه الترمذي

---

(١) الروضة الزكية في الخصائص المحمدية

كيفية شرب حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من زمزم وهو قائم)

رواه البخاري

وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جده قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائما وقاعدا) .

رواه أحمد

عن النزال بن سبرة رضي الله عنه قال : (أتى علي بكوز من ماء وهو في الرخية(١) ، فأخذ منه كفا فغسل يديه ومضمض واستنشق ومسح وجهه وذراعيه ورأسه ثم شرب وهو قائم ، ثم قال : ((هذا وضوء (٢) من لم يحدث)) هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل).

رواه البخاري

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الإناء ثلاثا إذا شرب ويقول : ((هذا أمرأ وأروى)) .

رواه البخاري

عطر حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن موسى بن أنس رضي الله عنه : (كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكة (٣) يتطيب منها). رواه أبو داود

---

(١) الرخية : المكان المتسع .

(٢) وضوء من لم يحدث : أي من لم يرفع طهر الحدث بل أراد التجديد أو التنظيف وإلا فوضوء المحدث معلوم بشرائط مخصوصة .

(٣) سكة : ضرب من الطيب يتخذ من مسك.

كان أنس بن مالك رضي الله عنهما لا يرد الطيب وقال : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب) . رواه البخاري

كلام حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه) .

رواه البخاري

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه). رواه الترمذي

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : (سألت خالي هند ابن أبي هالة وكان وصافا. قلت : صف لي منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السكت ، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى ، ويتكلم بجوامع الكلم ، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير ، ليس بالجافي ولا بالمهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم منها شيئا غير أنه لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا وما كان منها ، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبته شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى على بطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم يفتر عن مثل حب الغمام).

رواه البخاري

ضحك حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن سمرة قال : (كان في ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة وكان لا يضحك إلا تبسما ، فكنت إذا نظرت إليه قلت: أكحل العينين وليس بأكحل) .

رواه أحمد

مزاح حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ياذ الأذنين[1] يعني يمازحه))

رواه أحمد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله إنك تداعبنا قال : (إني لا أقول إلا حقا.) .

رواه أحمد

التمثل بالشعر في كلام حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن عائشة رضي الله عنها قيل لها : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت : (كان يتمثل بشعر ابن أبي رواحة ، ويتمثل بقول طرفة : (ويأتيك بالأخبار من لم تزود).

رواه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة : لبيد : ألا كل شيء ماخلا الله باطل)).

رواه البخاري

---

(١) يا ذا الأذنين : معناه الحض على حسن الاستماع أي يا صاحب الأذنين.

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه ، وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر : يا بن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله ، تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل)).

رواه النسائي

نوم حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن البراء بن عازب : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه وضع كفه الأيمن تحت خده الأيمن وقال : ((رب قني عذابك يوم تبعث عبادك يقولها ثلاث مرات)) .

رواه أحمد

وعن حذيفة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا آوى إلى فراشه قال : ((اللهم باسمك أموت وأحيا ، وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)) .

رواه البخاري

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسحهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات) .

رواه البخاري

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى نفخ وكان إذا نام نفخ ، فأتاه بلال ، فأذنه بالصلاة فقام وصلى لم يتوضأ(١)) .

رواه أحمد

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا آوى إلى فراشه ، قال: ((الحمد لله الذي أطعمنا وأسقانا وكفانا وأوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مأوى)).

رواه أحمد

وعن أبي قتادة رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عرس بليل اضطجع على شقه الأيمن ، وإذا عرس قبيل الصبح ، نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه).

رواه أحمد

عبادة حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن المغيرة بن شعبة قال : صلى الله عليه وسلم: حتى انتفخت (٢) قدماه ، فقيل له: (أتتكلف (٣) هذا؟ وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : أفلا أكون عبدا شكورا).

رواه البخاري

---

(١) لأنه صلى الله عليه وسلم كانت تنام عيناه ولا ينام) فلم ينتقض وضوءه

(١)حتى انتفخت قدماه : أي تورمت تدما رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في الصلاة.

(٢) أتتكلف هذا ؟ أي أتلزم نفسك بهذه المشقة والكلفة التي لا تطاق .

فراش حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه من أدم حشو ليف) .

رواه البخاري

وسئلت عائشة رضي الله عنها : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت : (أدم حشو ليف) .

رواه البخاري

وسئلت حفصة : وما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك ؟ قالت : (مسحا ، نثنيه ثنيتين فينام فلما كان ذات ليلة ، قلت : لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ ، فثنيناه أربع ثنيات ، فلما أصبح قال : ((ما فرشتموا لي الليلة)) ؟ قلنا: هو فراشك . إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات قلنا : هو أوطأ لك ، قال : ((رديه لحالته الأولى فإنه منعني وطأته صلاتي الليلة)).

دخول حبيبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته ومخرجه ومجلسه

قال الحسين بن علي : (سألت أبي عن دخول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان إذا آوى إلى مترله ، جزأ دخوله ثلاثة أجزاء ، جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جز بينه وبين الناس ، فيرد ذلك بالخاصة على العامة ، ولا يدخر عنهم شيئا ، وكان من سيرته صلى الله عليه وسلم في جزء الأمة ، إيثار أهل الفضل بإذنه ، وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل هم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألتهم عنه ، وأخبارهم بالذي ينبغي لهم يقول : ((ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله

قدميه يوم القيامة)) لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون روادا، ولا يفترقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة على الخير.

قال : فسألت عن مخرجه صلى الله عليه وسلم : كيف كان يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم القوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم ، من غير أن يطوى على أحد منهم بشره ولا خلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا كل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال : فسألته عن مجلسه ؟ فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه ، وخلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه مجلس علم وحلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب).

رواه الترمذي وصححه ابن حبان

خلق حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخلق : السجية والطبيعة والمروءة والدين ، وحقيقته : أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه ، وأوصافها ، ومعانيها المختصة بها واختلف : هل حسن الخلق غريزية

طبيعية ، أو مكتسبة اختيارية ، فقيل بالأول لخبر البخاري رضي الله عنه : (إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم) وقيل : بعضه مكتسب لما صح في خبر (الأشج إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة) .

قال يا رسول الله : قديما كانا في أو حديثا؟ قال قديما . قال القرطبي : الحمد لله الذي جعلني على خلقين يحبهما الله : الخلق : جبلة في نوع الإنسان وهم متفاوتون فيه فمن عليه حسنة فهو المحمود وإلا أمر بالمجاهدة حتى يصير حسنا ، وبالرياضة حتى يزيد حسنه ، وقيل الأظهر : إن الأخلاق كلها باعتبار اصلها جبلية قابلة للزيادة والنقصان في الكمية والكيفية بالرياضات الناشئة عن الأمور العلمية والعملية .

عن خارجة بن زيد بن ثابت قال : (دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا له : حدثنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا أحدثكم كنت جاره فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلى فكتبته له ، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا فكل هذا أحدثكم).

وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ، ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الإمام أحمد

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولاضرب خادما ولا امرأة).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان من أشدهم في ذلك غضبا ، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما).

رواه أبو يعلي

حياء حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذارء (١) في خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه)

رواه البخاري

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : (ما نظرت إلى فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قالت ما رأيت فرج رسول صلى الله عليه وسلم قط) .

رواه أحمد

حجامة حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

سئل أنس بن مالك عن كسب الحجام ؟ فقال أنس : (احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمة أو يطبة فأمر له بصاعين من طعام وكلم أهله فوضعوا عنه من خراجه وقال : ((إن أفضل ما تداويتم به الحجامة أو إن أمثل دوائكم الحجامة)).

رواه البخاري

وعن علي رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأمرني فأعطيت الحجام أجره.)

رواه أحمد

---

(١) العذراء في خدرها : أي كان حياؤه أبلغ من حياء البكر .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في الأخدعين وبين الكتفين ، وأعطى الحجام أجره ولو كان حراما لم يعطه).

رواه أحمد

عيش حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أم المؤمنين عائشة عائشة رضي الله قالت : (كنا آل محمد نمكث شـــهرا مـــا نستوقد بنار إن هو إلا التمر والماء وفي رواية إلا التمر والملح) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ك خرج النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة ، لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد فأتاه أبوبكر فقال ما جاء بك يا أبا بكـــر ؟ فقـــال : خرجت ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر في وجهه والتسليم عليه ، فلـــم يلبث أن جاء عمر فقال : ما جاء بك يا عمر ؟ قال : الجوع يا رسول الله. فقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا قد وجدت بعض ذلك فـــانطلقوا إلى مـــترل الهيثم بن التيهان الأنصاري وكان رجلا كثير النخل والشياه،ولم يكن له خدم فلـــم يجدوه ، فقالوا لامرأته : أين صاحبك فقالت : انطلق يستعذب الماء ، فلما يلبثـــوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها فوضعها ، ثم جاء يلتزم النبي صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه ، ثم انطلق إلى حديثته فبسط لهم بساطا ، ثم انطلق إلى نخله ، فجاء بقنـــو ، فوضعه ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم افلا تنقيت من رطبه ؟ فقال يا رسـول الله : إني أردت أن تختاروا ، أو تتخيروا من رطبه وبصره ، فأكلوا وشربوا ، فقال : صلـــى الله عليه وسلم هذا والذي نفسي بيده ، من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامـــة ، ظل بارد ، ورطب طيب ، وماء بارد ، فانطلق أبو الهيثم يصنع لهم طعاما ن فقـــال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تذبحن لنا ذات در فذبح لهم عناقا ، أو جديا فأتـــاهم بها ، فأكلوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل لك خادم ؟ قال : لا . قـــال : فإذا أتانا سبي فأتنا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسين : ليس معهما ثـــالث ، وأتاه أبو الهيثم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اختر منهما فقال : يا نـــبي الله ، اختر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن المستشار مؤتمن ، خذا هذا ، فإني رأيتـــه يصلي ، واستوصى به معروفا. فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته ، فأخبرها بقول رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالت امرأته: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن تعقته. الى أخر الحديث .   رواه البخاري ومسلم

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد أخفت في الله ، وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله ، وما يؤذي أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ، ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد ، إلا شيء يواريه إبط بلال).

رواه احمد

عمر حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما : (مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه ، وبالمدينة عشرا ، وتوفى ابن ثلاث وستين سنة).

رواه البخاري

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم عاش بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين ، وبمكة قبل البعثة اربعين سنة ، وإنما الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة ، وقبل الهجرة ، والصحيح أنها ثلاث عشرة سنة فيكون عمره صلوات الله وسلامه عليه ثلاثا وستين.

وعن معاوية بن أبي سفيان : (أنه سمع جرير يخطب قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنا ابن ثلاث وستين).

رواه مسلم

فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما : عاش كلا منهما ثلاث وستون سنة .

انتقال حبيبي صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى

لقد ذكر علماء البر أن ابتداء مرض النبي صلى الله عليه وسلم كان من صداع عرض له وهو في بيت عائشة رضي الله عنها ، ثم اشتد به وهو في بيت ميمونة ، ثم استأذن نساءه صلى الله عليه وسلم أن يمرض في بيت عائشة فأذن له ، وقيل : كانت مدة مرضه اثنى عشر يوما ، وقيل : أربعة عشر يوما ولحق بالرفيق الأعلى ضحى الإثنين شهر ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين، وبعث يوم الإثنين وخرج من مكة يوم الإثنين ودخل المدينة يوم الإثنين ، وقبض يوم الإثنين).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله كشف الستارة يوم الاثنين فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ، والناس خلف أبي بكر فكاد الناس أن يضطربوا فأشار إلى الناس أن اثبتوا ، وأبو بكر يؤمهم ، وألقى السدف، وتوفي من آخر ذلك اليوم).

رواه البخاري

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ، ثم يقول : ((اللهم أعني على منكرات الموت أو قال على سكرات الموت)).

رواه الترمذي

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختلفوا في دفنه ، فقال أبوبكر رضي الله عنه سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ما نسيته ، قال : ((ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يجب ان يدفن فيه)) أدفنوه في موضع فراشه). رواه الترمذي

وعن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته . أي بين عينيه أو جبهته).

رواه أحمد

وعن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر رضي عنه ، دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ، ووضع يديه على ساعديه ، وقال : وانبياه ، واصفياه ، واخليلاه) .

رواه أحمد

و عن أنس رضي الله عنه قال : (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة: أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه ، أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا عن التراب ، وإنا لفي دفنه صلى الله عليه وسلم ، حتى أنكرنا قلوبنا).

رواه أحمد

ميراث حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي إسحاق عن عمر بن الحارث أخي جويرة ، له صحبه قال : (ما ترك رسول الله إلا سلاحه وبغلته ، وأرضا جعلها صدقة).

رواه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : ((لا يقسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة نسائي ومئونة عاملي فهو صدقة)).

رواه الإمام أحمد

رؤية حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي)) .

رواه الإمام أحمد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتصور أو قال لا يتشبه بي)) .

رواه الإمام أحمد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من رآني في المنام فسيراني في اليقظة)).

رواه البخاري

ومعنى ذلك أن في هذه الأحاديث بشارة للرائي له عليه الصلاة السلام بموته على الاسلام وفوزه برؤيته في دار المقام.

فهل بعد معرفة هذه الصفات العظيمة لا يحبه المؤمن حبا شديدا بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتاق إلينا لأنه يحبنا فكيف لا نحبه صلى الله عليه وسلم .

اشتياق الرسول صلى الله عليه وسلم لاخوانه

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون وددت أنا قد رأينا إخواننا)) قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : ((أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد)) فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال : ((أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟) قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ((فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض)) .

رواه مسلم .

فالله سبحانه يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أمته من بين الأمم يوم القيامة ، كما يعرف الرجل خيله كمن كان عنده خيل غر في وجهها محجلة في أيديها وهي موجودة بين خيل سود لم يختلط لونها بلون آخر .

فما أسعدنا بهذه المنحة الكبرى والنعمة العظيمة أن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يشتاق لرؤيتنا مع تقصيرنا الشديد في محبته صلوات الله وسلامه عليه حتى ولو وقع المحب في معصية فلا يخرج عن الإيمان والمحبة .

المحبة تحفظ صاحبها من الخروج من الإيمان :

فمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا تخرج صاحبها عن سمة الإيمان ولو أتى معصية :

وذلك لأن من أحب الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ثبتت له المحبة والإيمان فلا تترع منه هذه الصفة طالما أن الحب في قلبه ولهذا لا يوصف بالنفاق ولا يخرج عن سمة الحب والإيمان حتى لو وقع في معصية وذلك لأن محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم تكون سببا في التوبة وحسن الختام لأن المعصية لا تقع من المحب إلا إذا كان غافلا عن الله تعالى.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان اسمه عبد الله ، وكان يلقب : حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب ، فأتي به يوما فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه — ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

((لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله)). رواه البخاري

العقاد ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال العارف بالله الشيخ أحمد سعد العقاد رضي الله عنه في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وسر قبولي أو وصولي إلى العلا	هو المصطفى المحبوب باب السعادة
هو الغاية العظمى هو الشمس أشرقت	أضاءت جميع الكون من بعد ظلمة
وكل جمال أو كمال بدا لنا	فمن أحمد الهادي رفيع المكانة
وأهل الصفا والواصلون جميعهم	فروع لطه عند كشف الحقيقة
هو الغيث فياض هو الروح للورى	حبيب طبيب للقلوب الجريحة
وكل فؤاد عاشق متصب	فمن مدد الهادي تحلى بنظرة
فإن شئت وصلا للحبيب بلا جفا	وتدنو لك العلياء في كل حالة
تشبه بطه بل تفضح بحبه	لأن رسول الله خير البرية
وكن حاضرا مستحضرا حسن ذاته	وصل على المختار في كل لحظة
لتسعد بالإحسان في حلل البها	وتدخل بالميراث روض المعية

مرافقة الحبيب صلى الله عليه وسلم

وكذلك من فضائل المحبة أنها ترفع المحب لمنزلة حبيبه فكيف لا نحبه صلى الله عليه وسلم لنفوز بمعيته صلى الله عليه وسلم .

فالمحب يلحق بالمحبوب ويحشر معه ويرفع إلى درجته في الجنة بكرم الله تعالى وإحسانه.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، متى الساعة ؟ فقال : ((وما أعددت للساعة ؟)) قال: حب الله ورسوله، قال : ((فإنك مع من أحببت)).

قال أنس : أنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر ، فأرجوا أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم . متفق عليه واللفظ لمسلم.

وفي رواية لهما قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال : (أنت مع من أحببت) .

فما أجل هذا الفضل العظيم فأنا أقول ما قاله أنس رضي الله عنه ، فأنا أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وجميع الصحابة وآل البيت وكل محبوب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم راجيا أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم.

ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم

أن يحشر المحب معه لقوله صلى الله عليه وسلم (من احب قوما حشره الله في زمرهم)

رواه الضياء القدسي والطبراني ورمز السيوطي لصحته

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل احب قوما و لم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحب).

رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم

وعن ابن ذر رضي الله عنه انه قال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع ان يعمل بعملهم قال:(أنت يا أبا ذر مع من أحببت)قال :فإني احب الله ورسوله قال: (فانك مع من أحببت)قال: أعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم).

رواه الأمام احمد وابن حبان عن أبي ذر وحسنه المنذري

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(العبد مع من احب وله ما اكتسب)

رواه الأمام احمد وأبو داود والطبراني عن جابر ورمز السيوطي لحسنه

قال الحفني في حاشيته على الجامع الصغير عند قوله صلى الله عليه وسلم (المرء مع من احب) أي مصاحب له في الدرجة العلية فينبغي مصاحبة الأخيار والتباعد عن الأشرار فمن احب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه في درجته لا من كل وجه .

وقال المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير عند قوله صلى الله عليه وسلم : (المرء مع من احب) طبعا وعقلا وجزاء ومحلا فكل مهتم بشيء فهو منجذب إليه والى أهله بطبعه شاء أم أبى وكل امرئ يصبو إلى مناسبه رضي أم سخط فالنفوس العلوية تنجذب بذواتها وهممها وعملها إلى أعلى والنفوس الدنية تنجذب بذواتها إلى اسفل ومن أراد ان يعلم هل هو مع الرفيق الأعلى أو الأسفل فلينظر أين هو ومع من هو في هذا العالم فان الروح إذا فارقت البدن تكون مع الرفيق الذي كانت تنجذب إليه في الدنيا.

وقيل: المراد هنا من احب قوما بإخلاص فهو في زمرتهم وان لم يعمل عملهم- أي مثل عملهم تماما - لثبوت التقارب مع قلوبهم قال انس رضي الله عنه: ما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث وفيه حث على حب الأخيار رجاء اللحوق بهم في دار القرار والخلاص من النار.

وقال العزيزي في شرحه على الجامع الصغير عند قوله صلى الله عليه وسلم:(من احب قوما حشره الله في زمرتهم) ظاهره وان لم يعمل بعملهم ويحتمل ان محبته لهم توجهه إلى العمل بأعمالهم.

لأن من ثمرات الحب أيضا أن يدخل المحب مع رسول الله صلى الله عليــه وســلم الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحبني كان معي في الجنة)

رواه الأصفهاني عن أنس

وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حســن وحســين فقال: (من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في الجنة)

رواه الإمام أحمد والترمذي واللفظ له وحسنه عن علي

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:(يا بــني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل) ثم قال لي:(يا بني وذلــك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة)

رواه الترمذي وحسنه

قال الشهاب الخفاجي: وليس المراد بكونه معه أنه مساو له في منــزلته وعلو مرتبته وإنما المراد أنه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وإن كانت مراتبهم متفاوتة .

وقال المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير عند قوله صلى الله عليه وســلم: (من أحب قوما حشره الله في زمرتهم) فمن أحب أولياء الرحمن فهو معهم في الجنان ومن أحب حزب الشيطان فهو معهم في النيران وفيه بشارة عظيمــة لمــن أحــب الصالحين أو تشبه بهم وانه يكون مع تفريطه بما هم عليه معهم في الجنة.

وقيل أيضا: معنى قوله صلى الله عليه وسلم :(المرء مع من احــب) أي يرتقــي المؤمن إلى المرتبة العظمى بالمحبة الصادقة ليدخل الجنة

هذا من محبته صلى الله عليه وسلم أيضا الشوق لرؤيته في المنام لأنها من المبشــرات فمن صدقت محبته له صلى الله عليه وسلم فسيراه في اليقظة قال صلــى الله عليــه وسلم :

(من رآني في المنام فسيراني في اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بي) متفق عليه

ومعنى في اليقظة أي يوم القيامة أو عند الموت وقيل بشرى خاصة للصالحين على سبيل الكرامة التي هي أمر خارق للعادة

وفي رواية : (من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي) .

توقيره عند ذكره صلى الله عليه وسلم

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم : تعظيمه عند ذكره وإظهار الخشوع عند سماع اسمه كما كان الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين بعدهم يخشعون عند ذكره محبة وشوقا إليه وتوقيرا لذاته الشريفة.

قال أبو ابراهيم اسحاق التجيبي : واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذبه نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به كقوله تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) .

سورة النور ، آية : ٦٣

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)

سورة الحجرات ، آية : ٢

وكان عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع .

قال القاضي عياض : واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه.

زيارته صلى الله عليه وسلم

ومن محبته صلى الله عليه وسلم الإكثار من زيارته و عدم رفع الصوت بـــالقرب منه صلى الله عليه وسلم فقد ذكر القاضي عياض في الشفا : أن أبا جعفر المنصـــور أمير المؤمنين ناظر الإمام مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لـــه الإمام مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فــإن الله أدب قومــا فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له القــول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) .

سورة الحجرات، آية ١

ومدح قوما فقال تعالى : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رســول الله أولئــك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)

سورة الحجرات : آية :٢

وذم قوما فقال تعالى : (إن الذين ينادونك مــن وراء الحجــرات أكــثرهم لا يعقلون)

سورة الفتح ، آية : ٢

وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان له أبو جعفر وقال يا أبا عبدالله أســـتقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : و لم تصرف وجــهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به.

وقال مصعب بن عبدالله كان مالك إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليــه وســلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال : لو رأيتم مــا رأيت لما أنكرتم علي ما ترون . ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القــراء

لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا بكى حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ، ولما كثر على مالك الناس قيل لو جعلت لك مستمليا يسمعهم فقال : قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء) .

وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبدالرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي).

علامة المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولقد بين صلوات الله وسلامه عليه علامة المحبين الصادقين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أشد أمتي لي حبا، ناس يكونون بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله) .

رواه مسلم

فالمحب الصادق للنبي صلى الله عليه وسلم يود لو يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو مرة واحدة لأن رؤيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من أهله وماله .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم قال : سألتني أمي : متى عهدك ؟ تعني بالنبي صلى الله عليه وسلم قلت : ما لي به عهد منذ كذا وكذا ، فنالت مني (وسبتني) فقلت لها: دعيني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصلي معه المغرب، وأساله أن يستغفر لي ولك .

رواه أحمد والترمذي وحسنه النسائي.

وعلى ذلك فالمحب يتأسف على فوات رؤية محبوبه ويعلم أن مصيبة فقده صلى الله عليه وسلم أعظم المصائب لديه ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : ((إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي)).

رواه الطبراني وابن سعد

دلائل المحبة

قال سهل التستري رضي الله عنه : من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه).

رواه الإمام أحمد عن أنس .

وعن صفوان بن قدامة قال هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت : يا رسول الله ناولني يدك أبايعك ؟ فناولني يده فقلت : يا رسول الله إني أحبك. قال: المرء مع من أحب.

رواه البخاري

وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال : (من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة) .

رواه الإمام أحمد والترمذي

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أحبني كان معي في الجنة)

رواه الأصفهاني

وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : ما كان خالد يأوى إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين

والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم .

وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبي قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك) .

ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس رضي الله عنه : (إن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وورد أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله فقيل له : اذكر أحب الناس إليك يزول عنك فصاح يا محمد فانتشرت .

ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته واحزناه فقال : واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه .

وورد أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها : (اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت) .

محبة الصحابة الكرام

وهذه محبة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

فلقد ضربوا رضي الله عنهم أروع الأمثلة في محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، واحترامه ،وتبجيله ، وطاعته ، وامتثال أمره ، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه حتى لو كان أحب الناس إليهم .

وهذه بعض الوقائع التي تدل على محبة الصحابة رضي الله عنهم وفدائهم لحبيبهم ومصطفاهم صلى الله عليه وسلم .

الصديق رضي الله عنه وحبه الصادق

إن من حب أبي بكر رضي الله عنه لرسوله صلى الله عليه وسلم ما فعله في الهجرة ، فقد أعد لها العدة ، ورصد لها كل ماله ، وظل ينتظر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن الله له بالهجرة ، طلب من النبي صلى الله عليه وسلم الصحبة إلى أن قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (الصحبة) ! فسر بذلك سرورا بالغا أدى به إلى البكاء .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : (فوالله ماشعرت قط قبل اليوم ، أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي)

وقال الليث بن سعد : (ما صحب الأنبياء ، عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق).

وقد ذكر القرطبي (١)رحمه الله أن عمر رضي الله عنه أشاد بهذه التضحيات الكبرى التي قدمها أبو بكر الصديث للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم في يوم هجرته، فقد أخرج البيهقي عن ابن سيرين قال: (ذكر رجال على عهد عمر ، فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما فبلغ ذلك عمر ، فقال : والله ! لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبوبكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن

---

(١) راجع تفسير القرطبي ج٨ص١٤٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أبا بكر ! مالك تمشي ساعة خلفـــي ، وساعة بين يدي ؟ فقال : يارسول الله ! أذكر الطلب فأمشي خلفـــك ، ثم أذكـــر الرصد فأمشي بين يديك فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ! لو كان شـــيء لأحببت أن يكون بك دوني؟ قال : والذي بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار ،قـــال أبوبكر : مكانك يا رسول الله ! حتى استبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأه حـــتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة قال: مكانك يا رسول الله ! فترل فاستبرأ الجحـرة ، ثم قال يارسول الله انزل فترل ثم قال عمر : " والذي نفسي بيده ! لتلك الليلة خـــير من آل عمر "

روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (عذب المشـــركون (بلالا) رضي الله عنه ، وبلال يقول : أحد أحد ، فمر به رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فقال : أحد (يعني الله تعالى) ينجيك ، ثم قال علية الصـــلاة والســـلام لأبي بكر: ((يا أبا بكر ! إن بلالا يعذب في الله)) .

فعرف أبوبكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى مترلــــه ، فأخذ رطلا من ذهب ، ومضى به إلى أمية بن خلف ، فقال له : أتبيعني بلالا؟ قـــال : نعم ، فاشتراه فأعتقه.

وعلى ذلك فإن أبا بكر كان حبه صادقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقـــدم ماله كله ، وترك أهله وعرض نفسه للموت و لم يخف على نفسه وإنما كان خوفــــه على حبيبه وشريعته كما قال : والله ! يارسول الله ! ما على نفسي أخف ، أنـــا إن قتلت إنما يقتل رجل ، ولكن إن أصبت أنت بمكروه ، إنما يذهب ديـــــن وتنمحـــي شريعة .

لذلك علم الله عز وجل صدق نيته وخالص محبته ، فكافأه سبحانه وتعالى بـــأن يعطيه ويرضيه .

الفاروق رضي الله عنه يحبه أكثر من نفسه

وأما محبة عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه .

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبدالله بن هشام قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك نفسك ، فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر).

رواه البخاري

وقد أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علم أنه يحبه أكثر من نفسه فطلب منه أن يذكره في دعائه ولا ينساه ، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن لي ، وقال لي : لا تنسنا يا أخي من دعائك ، أو قال : أشركنا يا أخي في دعائك .

قال عمر : فقال كلمة ما يسرني أن لي بهذه الدنيا .

رواه أبو داود والترمذي واللفظ لأبي داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بينا أنا نائم رأيتني في الجنة إذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته ، فوليت مدبرا ، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يارسول الله ؟) وفي رواية : (فذكرت غيرة عمر فوليت مدبرا).

قال أبو هريرة رضي الله عنه : (فبكى عمر ونحن جميعا في ذلك المجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال عمر : بأبي أنت يا رسول الله أعليك أغار).
رواه البخاري

عثمان ذو النورين وانفاق ماله عليه

وأما سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فكان من محبته إنفاق ماله في تجهيز جيش العسرة وفي شراء بئر رومة ، وجعلها سقاية للمسلمين ، تلبية لرغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد أخرج الترمذي عن عبدالرحمن بن خباب رضي الله عنه قال : (شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحث على تجهيز جيش العسرة ن فقام عثمان بن عفان ، فقال : يارسول الله علي مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال : علي ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يترل عن المنبر ، وهو يقول : ما على عثمان ما فعل بعد هذه ، ما على عثمان ما فعل بعد هذه ؟) .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وليس ها ماء يستعذب إلا (بئر رومة) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يشتريها ويجعلها للمسلمين ، دلوه فيها مع دلائهم بخير له منها في الجنة ؟ فاشتراها عثمان ، وجعلها للمسلمين).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يشتري بقعة (آل فلان) فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة ؟) فاشتراها عثمان بعشرين ألفا ، أو بخمسة وعشرين الفا ، وجعلها في المسجد .

فكل ذلك من أجل المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم التي جعلته يبذل كل هذا راضيا مطمئنا ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاة حبيبه صلى الله عليه وسلم.

الإمام علي يفتديه بنفسه

وأما حب سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه لرسول الله صلى الله عليه فقد بات في موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر وقد عهد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بتأدية الودائع التي كانت عنده لأهل مكة.

ففي ليلة الهجرة أسر له النبي عليه الصلاة والسلام أن يتسجى برده الحضرمي الأخضر ، وأن ينام في فراشه ، وأن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده ، فلم يتردد علي في تلبية الطلب عن تقديم نفسه ، فداء للحبيب صلى الله عليه وسلم ، بيد أن أربعين سيفا تحيط به إلى أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره أحد منهم ، إذ أخذ الله أبصارهم ، بعد أن نثر الرسول صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب ، وهو يقرأ : (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ،وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون).

سورة يس ، آية : ٩

وهكذا إلى أن أصبح القوم وخرج رضي الله عنه وحفظه الله تعالى منهم ، وأنشد رضي الله عنه وكرم الله وجهه يقول :

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا ... وقد سار في حفظ الإله وفي ستر
وبت أداعيهم وما يتهمونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والأشر

وقد أورد الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه (إحياء علوم الدين) أنه ليلة بات علي على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إلى جبريل ، وميكائيل ، أني قد آخيت بينكما ، وجعلت عمر أحدكما أطول من أخيه ، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختار كلاهما الحياة وأحباها ، فأوحى الله تعالى إليهما : " أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين محمد ، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض ، فاحفظاه من عدوه ، فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ، ينادي ويقول : بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب ، يباهي الله بك ملائكته ، فأنزل الله عز وجل : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)

سورة البقرة : آية : ٢٠٧

ومن جعل هذه الحادثة سببا لنزول هذه الآية أيضا القرطبي رحمه الله .

أخرج الترمذي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : " لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، جاءه علي تدمع عيناه ، فقال : يارسول الله آخيت بين أصحابك و لم تؤاخ بيني وبين أحد ، قال:فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : أنت أخي في الدنيا والآخرة ".

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عليا في غزوة تبوك فقال : يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((أما ترضى أن تكون مني بمترلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟))

رجل يحبه الله ورسوله :

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي من حديث زر بن حبيش قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : " والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه : لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق ".

ومما يؤكد محبته رضي الله عنه وكرم الله وجهه : لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ما رواه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : " لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال : فبات الناس يدركون ليلتهم : أيهم يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : يارسول الله يشتكي عينيه،فقال فأرسلوا إليه ، فأتي به فبصق في عينيه ودعا له بخير فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ، فقال علي : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقوق الله عز وجل فيهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم .

ووقع في رواية ثانية لمسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " ما أحببت الإمارة إلا يومئذ) .

فلم يرد الفاروق الرئاسة ولكنه رغبها يومئذ ، ليحصل على شهادة الحبيب صلى الله عليه وسلم لمن يعطي الراية بأنه : (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) .

المغيرة بن شعبة وغيرته الشديدة :

عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان — يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه — قالا : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية الحديث بطوله وفيه : (وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم أي عروة بن مسعود - فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف ، وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف.

وقال له : أخر يدك عن لحية رسول صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه ، فقال : من هذا ؟

قال : المغيرة بن شعبة ، فقال : أي غدر ، ألست أسعى في غدرتك؟ ثم إن عروة جعل يرمق من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه .

قال : فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيما له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت مليكا قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا ثم ذكر ما رآه).

رواه البخاري .

ففي هذا الحديث بيان محبة وتعظيم الصحابة رضي الله عنهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم وإجلالهم له حيث ضرب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يد عمه عروة بن مسعود — مع أنه عمه — إذ مدها إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع

أنها كانت عادة موجودة ، ثم ما لاحظه عروة من محبة الصحابة رضـــي الله عنـــهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبة شديدة وذلك مثل التبرك بنخامته والاقتتـــال على وضوئه ، وخفض الصوت بحضرته صلى الله عليه وسلم وعدم حد النظر إليـــه صلى الله عليه وسلم محبة وتعظيما له صلوات الله وسلامه عليه .

التبرك بوضوء حبيبي صلى الله عليه وسلم

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وســـلم في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالا أخذ وضوء رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، ورأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء فمن اصاب منه شيئا تمسح به ومن لم يصب منـه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه). متفق عليه .

وهذا شأن كل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم .

فعن أنس رضي الله عنه قال : (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم)

رواه أحمد والترمذي والبخاري في الأدب المفرد .

وفي حديث جابر رضي الله عنه ، في قصة وفاء دين ابيـــه — وفيـــه : (والله إن مجلس بني سلمة لينظرون إليه ، هو أحب إليهم من عيونهم ، ما يقربونـــه مخافـــة أن يؤذوه) .

رواه أحمد والدارمي

وعن أنس رضي الله عنه قال : (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم والحلاق يحلقه ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل).

رواه مسلم .

فداؤهم له صلى الله عليه وسلم

ومن محبتهم له صلى الله عليه وسلم فداؤهم له ، ودفاعهم عنه . ومن ذلك قول أبي طلحة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد : (يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، لا تشرف ، لا يصبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك) .

متفق عليه .

وقد تترس أبو دجانة رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، حتى صار ظهره كالقنفذ من السهام ، وتفانى الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم في القتال دونه يوم أحد .

ومن محبتهم أيضا رضي الله عنهم له صلى الله عليه وسلم أن يكرموا كل ما مسته يده صلى الله عليه وسلم فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول : ما تغنيت ، ولا تمنيت ، ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رواه ابن ماجه

ومن محبتهم رضي الله عنهم له صلى الله عليه وسلم فداؤهم له بآبائهم وأمهاتهم والتعبير عن ذلك كقول أحدهم : جعلني الله فداءك أو فداك أبي وأمي ، أو بأبي أنت وأمي.

حرصهم على رؤية وجه صلى الله عليه وسلم

ومن مظاهر محبتهم رضي الله عنهم توقيرهم وتعظيمهم له صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا إذا قدموا من سفر بدؤوا به صلى الله عليه وسلم فنظروا إليه ، وسلموا عليه قبل أن يذهبوا إلى بيوتهم . كما في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عند الترمذي وحسنه الحاكم وصححه.

ومن محبتهم رضي الله عنهم له صلى الله عليه وسلم تكريمهم لوجه نبيهم صلى الله عليه وسلم كقول سلمة رضي الله عنه : (والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم) كما في صحيح مسلم.

ومن محبتهم له صلى الله عليه وسلم أن يأمر النسوة أولادهن بالقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرؤيته ويعاتبونهم إذا أبطاوا عن ذلك ، كما حصل لأم حذيفة عندما نالت منه أي لامته لأن ابنها لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أيام ، كما في حديثه رضي الله عنه عند الترمذي وحسنه أحمد والنسائي ..

ومن ذلك اختيار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، الله ورسوله والدار الآخرة ، عندما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك لكمال محبتهن له صلى الله عليه وسلم .

ومن محبتهم له صلى الله عليه وسلم تعظيمهم لكل شأنه وكما فعل أبو دجانة رضي الله عنه بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقتل به هندا زوج أبي سفيان عندما ولولت وعرف أنها امرأة ، إكراما لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك إبقاء بعض الصحابة رضي الله عنهم شعر ناصيته حتى توفى، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسها وهو صغير كما في حديث أبي محذورة رضي الله عنه.

كمال الأدب مع حبيبي صلى الله عليه وسلم

ومن محتبهم له صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا إذا رأوه لم يرفعون رؤوسهم إعظاما له صلى الله عليه وسلم كما في حديث بريدة رضي الله عنه (وإذا جلسوا معه صلى الله عليه وسلم كأن على رؤوسهم الطير) ، كما في حديث أبي سعيد عند البخاري.

ومن محتبهم له صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا لا يرفعون أصواتهم رضي الله عنهم عنده صلى الله عليه وسلم ، وإذا رفع أحد عنده صوته، زجروه ، وأمروه بخفض صوته ، كما في حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه عند أحمد ، والترمذي وابن حبان وصححاه.

ومن محبتهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم امتناع عثمان رضي الله عنه عن الطواف بالبيت — عندما طلب منه كفار قريش ذلك — لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطف به ، فقال لهم رضي الله عنه : (ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم)

رواه البخاري

وقد حبسوه فكان سبب بيعة الرضوان.

ومن محبتهم رضي الله عنهم وتوقيرهم له صلى الله عليه وسلم أن كبارهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهم إذا حدثوه صلى الله عليه وسلم حدثوه كأخي السرار ، لم يسمعوه حتى يستفهمهم .

ومن محبتهم رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصل لهم يوم انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فمنهم من صعق ومنهم من أقعد ، ومنهم من ذهل ، بل منهم من مات رضي الله عنهم .

الغلام طلحة بن البراء :

وهذا طلحة بن البراء وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم :

فقد أخرج الطبراني عن حصين بن وحوح الأنصاري أن طلحة بن البراء رضي الله عنه لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يلصق برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبل قدميه ، قال : يا رسول الله مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمرا فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وهو غلام : فقال عند ذلك : اذهب فاقتل أباك ، فخرج موليا ليفعل فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم فمرض طلحة بعد ذلك ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده في الشتاء ، في برد وغيم ، فلما انصرف قال لأهله : لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فأذنوني به حتى أشهده وأصلي عليه وعجلوه ، فلم يبلغ النبي بني سالم بن عوف حتى توفي وجن عليه الليل ، فكان فيما قال طلحة : ادفنوني وألحقوني بربي ، ولا تدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإني أخاف عليه اليهود أن يصاب بسببي، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبح ، فجاء حتى وقف على قبره ، فصف الناس معه ، ثم رفع يديه فقال : (اللهم إلق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك).

زيد بن الدثنة وحبه لحبيبي الله صلى الله عليه وسلم

وهذا زيد بن الدثنة وما قاله في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنه كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان موقفا عظيما يدل على صدق المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد ذكر أصحاب السير : أن رهطا من عضل والقارة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك ، يعلموننا شرائعه ويقرؤننا القرآن ، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يبعث من أصحابه كلما دعي إلى ذلك ، ليؤدوا هذه المهمة الدينية

السامية ، وليدعوا الناس إلى الهدى ودين الحق ، لذلك بعث ستة من كبار أصحابه خرجوا مع الرهط ، وساروا معهم فلما كانوا جميعا على ماء لهذيل بالحجاز بناحية تدعى (الرجيع) غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا ، و لم يرع المسلمون الستة وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذ المسلمون أسيافهم ليقاتلوا ، لكن هذيلا قالت لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم ونظر المسلمون بعضهم إلى بعض ، وقد أدركوا أن الذهاب بهم إلى مكة فرادى إنما هو المذلة والهوان ، وهو شر من القتل، فأبوا ما وعدت هذيل وانبروا لقتالهم ، وهو يعلمون أنهم في قلة عددهم لا يطيقونهم ، وقتلت هذيل ثلاثة منهم وأما الثلاثة الباقون ، فأمسكت بتلابيبهم وأخذتهم أسرى وخرجت بهم إلى مكة تبيعهم فيها.

فلما كانوا ببعض الطريق ، انتزع عبد الله بن طارق أحد المسلمين الثلاثة الأسرى يده من غل الأسر ثم أخذ سيفه ، فاستأخر عن القوم ، وطفقوا يرجمونه بالحجارة حتى قتلوه .

أما الأسيران الآخران ، فباعوهما من أهل مكة ، وكان (زيد بن الدثنة) من نصيب صفوان بن أمية الذي سارع إلى شرائه ليقتله بأبيه أميه بن خلف الذي قتله المسلمون في (بدر).

فأخرجوه إلى التنعيم ليقتلوه ، واجتمع رهط من قريش ليشهدوا قتله ، وكان فيهم أبو سفيان ، فلما قدم للقتل سأله أبو سفيان قائلا : (أنشدك بالله يازيد ! أتحب أن محمدا الأن عندنا في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟).

قال زيد : " والله ما أحب أن محمدا صلى الله عليه وسلم في مكانه الذي هـو فيه، تصيبه شوكة تؤذيه ، وأني جالس في أهلي " فعجب أبو سفيان وقال : ما رأيت أحدا من الناس يحبه أصحابه كما يحب أصحاب محمد محمدا).

خبيب على خشبة الموت :

أما خبيب فقد حبس حتى خرجوا به ليصلبوه فقال لهم : (إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، فلبوا طلبه فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقل على القوم وقال : أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة ، ورفعوه إلى خشبة فلما أوثقوه إليها ، جاء أبناء المشركين الذين قتلوا في بدر، فصوبوا سهامهم ، ونادوه مناشدين : أتحب أن محمدا مكانك ؟ فقال : لا والله العظيم ! ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه ، فضحكوا ثم قتلوه ".

ومما يروى عنه رضي الله عنه ، أنه قال حين رفعوه إلى الخشبة :

ولست أبالي حين أقتل مسلما — على أي حال كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ — يبارك على أوصال شلو ممزع

وهكذا استشهد الصحابيان الجليلان المحبان لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

أسامة بن شريك :

ومن شدة محبة الصحابة ما جاء :عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير)

رواه الأربعة

وعن أنس رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه : من المهاجرين والأنصار ، وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبوبكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ، ويبتسمان إليه ويبتسم لهما). أخرجه الترمذي

أي من شدة محبتهما له عليه وآله الصلاة والسلام .

دم حبيبي صلى الله عليه وسلم

ومن دوافع المحبة شرب دمه صلى الله عليه وسلم ليدخل في جسدهم شيء من أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقد روى أبو نعيم في الحلية عن كيسان مولى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : " دخل سلمان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا عبد الله بن الزبير معه طست يشرب ما فيها ، فدخل عبد الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : له : فرغت . قال: نعم. قال سلمان : ماذاك يا رسول الله . قال: أعطيته محاجمي يهريق ما فيها. قال سلمان : ذاك شربه ، والذي بعثك بالحق! قال صلى الله عليه وسلم : شربته . قال : نعم. قال : لم؟ قال : أحببت أن يكون دم رسول الله في جوفي ، فقال بيده على رأس ابن الزبير ، وقال : ويل لك من الناس ، وويل للناس منك ، ألا تمسك النار إلا قسم اليمين ".

وفي رواية : فيرون أن القوة التي كانت في عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من قوة دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ما فعله مالك بن سنان رضي الله عنه :

فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أباه مالك بن سنان رضي الله عنه : " لما أصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه يوم (أحد) مص دم رسول الله صلى اللله عليه وسلم وازدرده ، فقيل له : أتشرب الدم ؟ فقال : نعم ! أشرب دم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خالط دمي دمه لا تمسه النار " .

أبو أيوب الأنصاري وحبه لحبيبي صلى الله عليه وسلم

لقد ظهر من أبي أيوب الأنصاري وأم أيوب رضي الله عنهما من دلائل المحبة ما يبهر :

فعن أبي أيوب رضي الله عنه قال : (لما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : بأبي وأمي أكره أن أكون فوقك ، وتكون أسفل مني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ارفق بنا أن نكون في السفل ، لما يغشانا من الناس ، فلقد رأيتني ليلة وقد انكسرت جرة لنا فيها ماء ، فأهريق ماؤها فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ، ننشف بها الماء فرقا من أن يصل إلى رسول الله منا شيء يؤذيه ، وكنا نصنع طعاما ، فإذا رد ما بقي منه تيممنا موضع أصابعه فأكلنا منها نريد البركة ، فرد علينا عشاءه ليلة ، وكنا جعلنا فيه ثوما أو بصلا ، فلم نر فيه أثر أصابعه ، فذكرت له الذي كنا نصنع ، والذي رأينا من رده الطعام ، و لم يأكل منه شيئا ، فقال عليه الصلاة والسلام : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي ، فلم أحب أن يوجد مني ريحه ، فأما أنتم فكلوه) .

ابن سلول يريد قتل أبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا صحابي جليل بلغ من حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوجه بسيفه لأبيه إعلاء لقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذلالا لأبيه وهو عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول يسمع ما نزل من القرآن في شأن أبيه المنافق ، حيث قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) كما أخبر الحق عز وجل عنه فيأتي أباه ويسل سيفه ، مسلطا فوق رأسه ، ويقول لأبيه : لله علي أن لا أغمده حتى تقول : محمد الأعز وأنا الأذل ! قال أبوه : ويلك محمد الأعز وأنا الأذل ! فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبه وشكرها له .

وكل ذلك من حب عبد الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولـــذا حينمـــا نزلت الآيات التي كشفت حقيقة أبيه وصرحت بعدائه لرسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم فقال : يا رسول الله ! إنه بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرني أن أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج أنه ما كان بها من رجـل أبر بوالديه مني ، ولكن أخشى أن تأمر غيري بقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأكون قتلت رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار.

فما أجل هذا الحب الذي جعله يريد أن يقتل أباه ، وأن يقدم إلى النبي صلـى الله عليه وسلم رأسه وإن كان ذلك يؤثر فيه تأثيرا شديد لأنه أباه الذي كـــان ســـببا في وجوده في تلك الحياة ولكنه الإيمان القوي والحب العميق لرسول الله صلى الله عليـــه وسلم .

ولذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنا لا نقتله بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا)).

فقد كان عبد الله بن أبي بعد ذلك إذا حدث الحدث يعاتبه قومه ويقولون له : إن حياته بعض هبات محمد له .

ويراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله المؤمن بهذه المواقف العظيمـــة ، فيقول عندما بلغه أن ابن أبي المنافق في الاحتضار : إذا جهزتموه فآذنوني ،حتى أصلـــي عليه ، ورغم طلب عمر منه ترك الصلاة عليه لأنه منافق ، فقد صلى عليه رسـول الله صلى الله عليه وسلم تكريما لابنه المؤمن المحب لأنه الرحمة العظمى للعالمين .

ففي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من سورة (براءة): (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)

سورة التوبة ، آية : ٨٤

وقد بلغ من عطف رسول الله وبره وإحسانه أن يمنح عبد الله قميصه ليكفن به أباه ، قال ابن عمر : لما توفى عبد الله بن أبي بن سلول ، جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه إياه .. ثم سأله أن يصلي عليه فصلى.

فما أروع هذا الحب الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب بهذا الحب يفعل مع أبيه المنافق هذا الصنع الجليل.

محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في طاعته

وهذا صحابي يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خاتما من ذهب ، فيترعه ويطرحه على الأرض فيسعد بذلك ، ويقسم ألا يأخذه بعد أن طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة فيه.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب بيد رجل فترعه فطرحه وقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل ، بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم (خذ خاتمك انتفع به قال : لا والله لا آخذه أبدا ، بعد أن طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه مسلم

اكرام فراش الرسول صلى الله عليه وسلم

وهذه أم حبيبة (بنت أبي سفيان بن حرب تطوي فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يجلس عليه أحد ولو كان أبوها ، وذلك لأن محبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجعلها تحب كل ما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنع أباها لأنه كان لايزال على شركه .

فقد أخرج ابن سعد عن الزهري ، قال : (لما قدم أبو سفيان المدينة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزو مكة ، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية ، فلم يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوته دونه ، فقال : يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت امرؤ نجس مشرك ، فقال : يا بنية! أصابك بعدي شر ، وخرج مغضبا) .

بردة حبيبي صلى الله عليه وسلم

وهذه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خلعها على كعب بن زهير رضي الله عنه كان شديد الحرص عليها حبا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من توارثها من بعده .

فلقد كان كعب من فحول الشعراء ، وكان ممن هجا النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ، فلما كان يوم الفتح خرج هاربا وأخوه بجير الذي كان شاعرا أيضا، ثم إن بجيرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسمع كلامه وآمن به وأقام عنده ، فبلغ ذلك كعبا فشق عليه إسلام أخيه بجير فكتب إليه بأبيات يعتب عليه ويلومه :

أولها : ألا بلغا عني بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

فلما وقف بجير عليها أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه وآله الصلاة والسلام : ((من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله)) وذلك عند انصرافه من غزوة الطائف .

ثم إن بجيرا كتب لأخيه كعب كتابا فيه أربعة أبيات :

أولها : من مبلغ كعبا فهل لك في التي   تلوم عليها باطلا وهو أحزم.

وكتب يقول له :

(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمك فإن كان لك في نفسك حاجة فصر إليه فإنه يقبل من أتاه تائبا ولا يطالبه مما تقدم الإسلام فأشفق كعب على نفسه وخرج إلى المدينة يريد الإسلام ـ وقال قصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل إليها نزل على رجل من جهينة كان بينه وبينه معرفة ، فأتى به إلى المسجد ثم أشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم إليه واستأمنه ، فقام كعب إلى النبي عليه وآله الصلاة والسلام حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يره قبل ذلك قال يارسول الله : إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ((نعم)) ، فقال يارسول الله: أنا كعب بن زهير ، فقال الذي يقول ما قال ثم أقبل على أبي بكر فاستنشده الشعر فأنشد أبو بكر :

(سقاك بها المأمون كأسا روية)

فقال كعب : لم أقل هكذا وإنما قلت :

سقاك أبو بكر بكأس روية   فان هلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((مأمون والله)) فوثب إليه رجل من الأنصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ((دعه عنك فقد جاءنا تائبا نازعا)) [1] ثم أنشد كعب بن زهير قصيدته:

بانت سعاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمع فلما وصل إلى قوله :

ان الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته التي كانت عليه فكان يحبها حبا شديدا لمحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن معاوية ابن أبي سفيان بذل لكعب في هذه البردة عشرة آلاف من الدراهم ، فقال كعب : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا من الدراهم فأخذها منهم ، وهي البردة التي كانت عند السلاطين ، قال ابن قانع عن ابن المسيب أنها التي يلبسها الخلفاء في الأعياد فكانت محبة آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لأنه خليل الله وحبيب الله وأكرم الخلق على الله تعالى فهو أولى بالحب من كل محبوب لدينا ، ولذا كان أحب إلى أصحابه من أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، وآثاره أحب إليهم من كل شيء .

---

(١) نازعا : خارجا من الكفر .

أذان بلال رضي الله عنه بالمدينة

وهذا بلال رضي الله عنه لما قدم من الشام إلى المدينة بعد أن لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى طلبوا منه أن يؤذن لهم كما كان يؤذن في حياته عليه وآله الصلاة والسلام، واجتمع أهل المدينة رجالهم ونساؤهم وصغارهم وكبارهم ليستمعوا إلى أذانه .

فلما قال : الله أكبر الله أكبر صاحوا وبكوا جميعا ولما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ضجوا جميعا ، ولما قال : أشهد أن محمدا رسول لله لم يبق في المدينة أحد إلا بكى وصاح، وخرجت العذارى والأبكار من خدورهن يبكين وصار كيوم انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وما ذلك إلا لتذكرهم حبيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهرهم .

تتبع عبدالله بن عمر لآثار حبيبي صلى الله عليه وسلم

وقد ورد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بكى ولامر على ربعه إلا غمض عينيه ، كما ذكره البيهقي في الزهد بسند صحيح ، بل كان من شدة محبته يتتبع آثاره صلى الله عليه وسلم في كل مسجد صلى فيه وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض ناقته فيه ، وكان لا يترك الحج فكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا فيه صلوات الله وسلامه عليه .

وقد روى مالك في الموطأ أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما جاء لقريه لبني معاوية وهي قرية من قرى الأنصار فقال :

(هل تدرون أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجدكم هـــذا ، فقال : له عبدالله بن عبدالله بن جابر بن عتيك نعم وأشار إلى ناحية منه).

ومن محبة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة في بيوتهم ، فقد روى البخـــاري : (إن عتبان بن مالك طلب منه عليه وآله الصلاة والسلام أن يصلى له في مكان بيتـــه ليتخذه مصلى لما ضعف بصره وخاف من حيلولة السيل بينه وبين المسجد النبـــوي فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم في بيته. وقال : ((أين تحب أن أصلى لـــك؟)) فأشار إلى ناحية من بيته فصلى فيه فصفوا خلفه).

فقد روى ابن اسحاق : ان امراة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يـــوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم قالوا : خيرا هو بحمد الله كما تحبين. فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأتـــه قالت : كل مصيبة بعدك جلل)

أي : صغيرة.

رواه البيهقي وابن أبي الدنيا

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (كان رسول الله صلى الله عليه وســـلم أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ).

محبة ثوبان لحبيبي الله صلى الله عليه وسلم

قال الامام البغوي في تفسيره نزل قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحســـن أولئـــك رفيقا)

سورة النساء آية : ٦٨

في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرســول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحـــزن في

وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك ؟ فقال يا رسـول الله : ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقـــاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلـــت الجنـــة في مترلة أدنى من مترلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فترلت هذه الآية)

رواه الطبراني عن عائشة ورواه ابن مردويه عن ابن عباس .

وعن عامر الشعبي قال : إن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليـــه وســـلم فقال والله يا رسول الله لأنت أحب إلى من نفسي ومالي وولدي وأهلي ولـــولا أني أتيك فأراك لرأيت أن أموت وبكى الأنصاري فقال له رسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم: ما أبكاك؟ قال : بكيت إن ذكرت أنك ستموت ونموت فترفع مع النبيـــين ونكون نحن إن دخلنا الجنة دونك فلم يحر النبي صلى الله عليه وسلم إليه بمعنى أي لم يرجع إليه بقول فأنزل الله الآية وذكر مقاتل بن سليمان أن هذا الأنصاري هو عبـــد الله بن زيد الذي رأى الاذان وذكر أيضا أن عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنـة له فأتاه ابنه فاخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي فقال: اللهم أذهب بصـري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أحدا فكف بصره .

محبة الصحابة وتبركهم بآثار حبيبي صلى الله عليه وسلم

لقد بلغ حرص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على آثـــاره الشـــريفة مبلغا عظيما وكانوا يتبركون بها حبا فيه صلى الله عليه وسلم حـــتى إنهـــم كـــادوا يقتتلون على ما يتقاطر من ماء وضوئه عليه الصلاة والسلام وكان يـــرى ذلـــك و لم ينههم عنه.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليـــه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال : (فأتى النبي صلى الله عليـــه

وسلم أعرابي فقال ألا تنجز لي ما وعدتني ، فقال له أبشر ، فقال قد أكثرت على من أبشر ، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال : رد البشرى فاقبل ا أنتما) قالا : قبلنا ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ، ثم قال : اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا ، فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما فأفضلا لها منه طائفة.

رواه البخاري ومسلم

فكانوا رضي الله عنهم يتبركون بماء وضوئه وبشعره وبقدحه الذي كان يشرب فيه بل وآنيته صلى الله عليه وسلم كلها وبنخامته وكل ما يتصل به فكان إذا تنخم عليه وآله الصلاة والسلام أخذ الصحابة نخامته ودلكوا بها وجوههم وأجسادهم وهو ينظر إليهم .

يمسحون وجوههم بيد حبيبي صلى الله عليه وسلم

ومن محبتهم الخالصة كانوا يأخذون يديه ويمسحون بها وجوههم .

فعن أبي جحيفة وهب بن عبدالله السوائي قال : (وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم . قال : فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك).

رواه البخاري

وأخرج البخاري في (باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم) أيضا بإسناده إلى أبي جحيفة المذكور قال دفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالأبطح في قبة كان بالهاجرة فخرج بلال فنادى بالصلاة ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع الناس عليه يأخذون منه الحديث وكانون يجمعون الماء الذي توضأ به في إناء للتبرك به لكونه مس جسده الشريف وهذا الحديث أخرجه البخاري أيضا في كتاب الوضوء في باب استعمال فضل وضوء الناس .

وأخرج البخاري أيضا في كتاب اللباس في باب (القبة الحمراء من أدم) بإسناده إلى أبي جحيفة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة حمراء من أدم (جلد) ورأيت بلالا أخذ وضوء النبي صلى الله عليه وسلم والناس يتدرون الوضوء فمن أصاب منه شيئا تمسح به ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه وهو بمعنى حديث أبي جحيفة السابق وقد أخرج البخاري .

التبرك بشعر حبيبي صلى الله عليه وسلم

وكانوا إذا حلق رأسه صلى الله عليه وسلم دفع شعره إلى بعض أصحابه كأبي طلحة الأنصاري يفرقه على أصحابه .

فعن أنس رضي الله عنه قال : (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل) .

رواه مسلم .

وذلك من دلائل حب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كانوا يحتفظون بشعرة من شعراته صلى الله عليه وسلم

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره)

أخرجه البخاري

وفي البخاري بإسناده إلى ابن سيرين قال : (قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال : لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها كذا) .

وفي الشفاء للقاضي عياض: كان شعرات من شعره عليه وآله الصلاة والسلام في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر .

فهذا من حب الصحابة لجميع ما خالط جسده الشريف ولذا كان لخالد بن الوليد بعض شعره عليه وآله الصلاة والسلام في قلنسوته فكان يدخل بها في الحرب ويستنصر ببركته صلى الله عليه وسلم ولما سقطت عنه قلنسوته يوم اليمامة شد عليها شدة حتى أخذها فأنكر عليه بعض الصحابة ذلك قبل علمهم بما فيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم أنه خاطر بنفسه على قلنسوة لا قيمة لها فقال خالد إني لم أفعل ذلك لقيمة القلنسوة لكن كرهت أن تقع بأيدي المشركين وفيها من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فرضوا عنه وأثنوا عليه .

كانوا يحرصون على وضع شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم تحت ألسنتهم عند الموت فقد روى ابن السكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال: قال ثابت البناني قال لي أنس بن مالك : هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعها تحت لساني قال فوضعتها تحت لسانه فدفن وهي تحت لسانه .

التبرك بعرق وطيب حبيبي صلى الله عليه وسلم

وكذلك عرقه وطيبه صلى الله عليه وسلم فعن أنس : (أن أم سليم كانت تبسط للنبي صلى الله عليه وسلم نطعا فيقيل عندها على ذلك النطع قال : (فإذا نام النبي صلى الله عليه وسلم أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سك [1] قال : فلما حضر انس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك السك قال فجعل في حنوطه) رواه البخاري.

---

(١) السك : نوع من الطيب

أي أن أم سليم رضي الله عنها كانت تخلط عرقه صلى الله عليه وسلم بنوع من الطيب لشدة محبتها له صلى الله عليه وسلم وهذا أمر أقره صلى الله عليه وسلم بل وفعله بنفسه مع ابنته زينب عندما توفيت فأعطاها إزاره ليلي جسدها وما ذلك إلا لمحبته وشفقته عليها.

التبرك بآثارحبيبي صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر العلامة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية رحمه الله[1] في عند الكلام على غسل زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها رضي الله تعالى عنها: (وأنه صلى الله عليه وسلم أمر النساء اللاتي تولين غسلها رضي الله تعالى عنهن أن يخبرنه بعد فراغهن من غسلها فلما فرغن وأخبرنه أعطاهن حقوه بفتح فسكون أي إزاره ليجعلنه على جسدها ثم بعده الكفن) .

وكان الإمام أحمد بن حنبل من شدة حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنده ثلاث شعرات من الجسد الشريف فأمر توضع واحدة على عينه وأخرى على عينه الآخرى وأخرى على فمه إذا كفن).

وهذه صحابية جليلة من محبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم احتفظت بأثر فمه الشريف فعن أم ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنهما قالت : (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من فى قربة معلقة قائما، فقمت إلى فيها فقطعته)

رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

وكذلك من محبة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحرص على الشرب من قدح النبي صلى الله عليه وسلم وآنيته .

---

(٢) كتاب فتاوي شرعية وبحوث إسلامية ص ٣٥٧.

فقد جاء في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : (فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ثم قال : ((اسقنا يا سهل)) فخرجت لهم بهذا القدح فأسقيتهم فيه : قال أبو حازم فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه).

رواه البخاري

وقيل أن عمر بن عبدالعزيز بعد ذلك استوهبه من سهل فوهبه له .

فكان الصحابة يحبون كل آثار النبي صلى الله عليه وسلم ويبذلون الأموال الكثيرة في سبيل الحصول عليها فقد ذكر القرطبي أن في بعض نسخ البخاري القديمة ما نصه قال أبوعبدالله البخاري : رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه ، وكان اشترى من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف .

إحياء ذكرى المولد

هذا ومن دلائل محبته صلى الله عليه وسلم الفرح به يوم مولده واعلان البشائر والشكر لله تعالى بطاعته على نعمة ظهوره للوجود صلى الله عليه وسلم .
ونكتفي بما ذكره فضيلة العلامة الكبير والمحقق سماحة الشيخ الدكتور محمد علوي مالكي من علماء الحرمين الشريفين في كتابه : (حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف).
إن هذه الاجتماعات هي وسيلة كبرى للدعوة إلى الله تعالى وهي فرصة ذهبية ينبغي أن لا تفوت ، بل يجب على الدعاة والعلماء أن يذكروا الأمة بالنبي صلى الله عليه وسلم بأخلاقه وآدابه وأحواله وسيرته ومعاملته وعبادته ، وأن ينصحوهم ويرشدوهم إلى الخير والفلاح يحذرهم من البلاء والبدع والشر والفتن واننا دائما بفضل الله ندعو الى ذلك ونشارك في ذلك ونقول للناس ليس المقصود من هذه

الاجتماعات مجرد الاجتماعات والمظاهر بل إن هذه وسيلة شريفة إلى غاية شريفة وهي كذا وكذا ، ومن لم يستفد شيئا لدينه فهو محروم من خيرات المولد الشريف.

وهذه أدلة جواز الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم

والأدلة على ذلك كثيرة ومنها:

الأول : أن الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وقد انتفع به الكافر.

فقد جاء في البخاري أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم اثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي :

اذا كان هذا كافرا جاء ذمة ... بتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى انه في يوم الأثنين دائما ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسرورا ومات موحدا

الثاني : إنه صلى الله عليه وسلم كان يعظم يوم مولده ، ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه ، وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود ، اذ سعد به كل موجود ، وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء في الحديث عن أبي قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الأثنين؟ فقال : (فيه ولدت وفيه أنزل علي) رواه الإمام مسلم في الصحيح في كتاب الصيام.

وهذا في معنى الاحتفال به إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام أو اطعام طعام أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو سماع شمائله الشريفة.

الرحمة الكبرى :

الثالث : أن الفرح به صلى الله عليه وسلم مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا). فالله تعالى : أمرنا أن نفرح بالرحمة ، والنبي صلى الله عليه وسلم اعظم الرحمة قال الله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

الرابع : أن النبي صلى الله كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التي مضت وانقضت فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه كان فرصة لتذكرها ، وتعظيم يومها لاجلها ولأنه طرف لها.

وقد أصل صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة بنفسه كما صرح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له : انهم يصومون لأن الله نجى نبيهم وأغرق عدوهم فيهم يصومونه شكرا لله على هذه النعمة فقال صلى الله عليه وسلم : نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه.

الخامس : أن الاحتفال بالمولد لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم فهو بدعة ، ولكنها حسنة لا ندراجها تحت الأدلة الشرعية والقواعد الكلية ، فهي بدعة باعتبلو هيئتها الاجتماعية لا باعتبار افرادها لوجود أفرادها في العهد النبوي كما سنعلم ذلك تطبيقا إن شاء الله.

السادس : إن المولد النبوي الشريف يبعث على الصلاة والسلام المطلوبين بقوله تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

وما كان يبعث على المطلوب شرعا فهو مطلوب شرعا ، فكم للصلاة عليه من فوائد نبوية ، وامدادات محمدية ، يسجد القلم في محراب البيان عاجزا عن تعداد آثارها ومظاهر أنوارها.

السابع : إن المولد الشريف يشمل على ذكر مولده الشريف ومعجزاته وسيرته والتعريف به ، أو لسنا مأمورين بمعرفته ومطالبين بالاقتداء به ، والتأسي بأعماله والإيمان بمعجزاته والتصديق بآياته وكتب المولد تؤدي هذا المعنى تماما.

الثامن : التعرض لمكافأته بأداء بعض ما يجب له علينا ببيان أوصافه الكاملة ، وأخلاقه الفاضلة ، وقد كان الشعراء يفدون إليه صلى الله عليه وسلم بالقصائد ويرضى عملهم ويجزيهم على ذلك بالطيبات والصلات فإذا كان يرضى عمن مدحه فكيف لا يرضى عمن جمع شمائله الشريفة ففي ذلك التقرب له عليه الصلاة والسلام باستجلاب محبته ورضاه.

معرفة شمائله ومعجزاته :

التاسع : إن معرفة شمائله ومعجزاته وارهاصاته تستدعي كمال الإيمان به عليه الصلاة والسلام وزيادة المحبة إذ الإنسان مطبوع على حب الجميل خلقا وخلقا ، علما وعملا ، حالا واعتقادا ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعا فما كان يستدعيهما مطلوب كذلك.

العاشر : أن تعظيمه صلى الله عليه وسلم مشروع والفرح بيوم ميلاده الشريف باظهار السرور ووضع الولائم والاجتماع للذكر واكرام الفقراء من أظهر مظاهر

التعظيم والابتهاج والفرح والشكر لله ، بما هدانا لدينه القويم ، وما من به علينا من بعثه عليه أفضل الصلاة والتسليم.

الحادي عشر : يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في فضل يوم الجمعة وعد مزاياه، وفيه ولد آدم تشريف الزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبي كان من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين .

ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه بل يكون له خصوصا ولنوعه عموما مهما تكرر كما هو الحال في يوم الجمعة شكرا للنعمة وإظهارا لمزية النبوة واحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الاصلاح المهم في تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود كما يؤخذ تعظيم المكان الذي ولد فيه نبي من أمر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة ركعتين ببيت لحم ثم قال له : أتدري أين صليت؟ قال: لا. قال : صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى.

الثاني عشر : ان المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون في جميع البلاد وجرى به العمل في كل صقع فهو مطلوب شرعا للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف : (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح) أخرجه أحمد.

الثالث عشر : ان المولد اجتماع ذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوي فهو سنة ، وهذه أمور مطلوبة شرعا وممدوحة وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها.

الرابع عشر : ان الله تعالى قال : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت بـه فؤادك) يظهر منه أن الحكمة في قص أنباء الرسل عليم السلام تثبيت فؤاده الشـريف بذلك ولا شك أننا اليوم نحتاج إلى تثبيت أفئدتنا بأنبائه وأخبار اشد من احتياجه هـو صلى الله عليه وسلم.

ليس كل ما لم يفعله السلف بدعة :

الخامس عشر : ليس كل ما لم يفعله السلف و لم يكن في الصدر الأول ، فهو بدعة منكرة سيئة يحرم فعلها ويجب الانكار عليها بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلـة الشرع فما اشتمل على مصلحة فهو واجب أو على محرم فهو محرم ، أو مكروه فهو مكروه او على مباح فهو مباح أول على مندوب فهو مندوب ، وللوسائل حكـــم المقاصد ثم ، قسم العلماء البدعة إلى خمسة أقسام.

واجبة : كالرد على أهل الزيغ ، وتعلم النحو .

ومندوبة : كإحداث الربط والمدارس ، والأذان على المنابر وصنع إحسان لهم يعهد في الصدر الأول .

ومكروهة : كزخرفة المساجد ، وتزويق المصاحف.

ومباحة : كاستعمال المنخل ، والتوسع في المأكل والمشرب.

ومحرمة : وهي ما أحدث لمخالفة السنة و لم تشمله أدلة الشرع العامة و لم يحتـــوى على مصلحة شرعية .

السادس عشر : ليست كل بدعة محرمة ولو كان كذلك لحرم جمع أبي بكر وعمـر وزيد رضي الله عنهم ، القرآن وكتبه في المصاحف خوفا على ضياعه بموت الصحابة القراء رضي الله عنهم ، ولحرم جمع عمر رضي الله عنه الناس على إمام واحـــــد في صلاة القيام مع قوله نعمت البدعة هذه وحرم التصنيف في جميـــع العلـــوم النافعـــة

ولوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطائرات والغواصات والأساطيل وحرم الأذان على المنائر واتخاذ الربط والمدارس والمستشفيات والاسعاف ودار اليتامى والسجون ، فمن ثم قيد العلماء رضي الله عنهم حديث كل بدعة ضلالة بالبدعة السيئة ، ويصرح بهذا القيد ما وقع من أكابر الصحابة والتابعين من المحدثات التي لم تكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ونحن اليوم قد أحدثنا مسائل كثيرة لم يفعلها السلف وذلك كجمع الناس على إمام واحد في آخر الليل لاداء صلاة التهجد بعد صلاة التراويح وكختم المصحف فيها وكقراءة دعاء ختم القرآن ، وكخطبة الإمام ليلة سبع وعشرين في صلاة التهجد وكنداء المنادي بقوله صلاة القيام أثابكم الله ، فكل هذا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من السلف ، فهل يكون فعلنا له بدعة؟

التامن عشر : قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : ما أحدث وخالف كتابا أو سنة أو إجماعا أو أثرا فهو البدعة الضالة وما أحدث من الخير و لم يخالف شيئا من ذلك فهو المحمود .

وجرى الإمام العز بن عبدالسلام والنووي كذلك وابن الأثير على تقسيم البدعة الى ما أشرنا إليه سابقا.

التاسع عشر : كل ما تشمله الأدلة الشرعية و لم يقصد باحداثه مخالفة الشريعة و لم يشتمل على منكر فهو من الدين . وقول المتعصب إن هذا لم يفعله السلف ليس هو دليلا له بل هو عدم دليل كما لا يخفى على من مارس علم الأصول فقد سمى الشارع بدعة الهدى سنة ووعد فاعلها أجرا فقال عليه الصلاة والسلام : (من سن

في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء).

العشرون : إن الاحتفال بالمولد احياء لذكرى المصطفى صلى الله عليه وسلم وذلك مشروع عندنا في الإسلام فأنت ترى أن أكثر أعمال الحج إنما هي إحياء لذكريات مشهودة ومواقف محمودة فالسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والذبح بمنى كله حوادث ماضية سابقة يحي المسلمون ذكراها بتجديد صورها في الواقع.

وعلى ذلك فكل من يحتفل بمناسبة عزيزة لديه ولا يحتفل بمولد حبيبه صلى الله عليه وسلم فليس بصادق في حبه لأن هذه الاحتفالات تغرس في نفوس الأطفال حب الرسول صلى الله عليه وسلم .

الواحد وعشرون : كل ما ذكرناه سابقا من الوجوه في مشروعية المولد إنما هو في المولد الذي خلا من المنكرات المذمومة التي يجب الإنكار عليها ، أما إذا اشتمل المولد على شيء مما يجب الإنكار عليه كاختلاط الرجال بالنساء ، وارتكاب المحرمات وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد الشريف صلى الله عليه وسلم ، فهذا لا شك في تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات لكن تحريمه حيئنذ يكون عارضيا لا ذاتيا كما لا يخفى على من تأمل ذلك.

فيجب المحافظة عليها وخاصة المدائح النبوية وقراءة السيرة والأخلاق التي تشوق القلوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الفقهاء قاعدة جليلة وهي مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب وحبه صلى الله عليه وسلم هو أوجب الواجبات.

محبة الجمادات لحبيبي صلى الله عليه وسلم

محبة جبل أحد :

وهذه الكائنات كلها تعرف قدر حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فتحبه حتى الجمادات جعل الله فيها محبة النبي صلى الله عليه وسلم وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم، ذلك فيما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

(خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أخدمه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم راجعا ، وبدا له أحد ، قال : (هذا جبل يحبنا ونحبه).

متفق عليه ، واللفظ للبخاري .

وفي رواية لأبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال :

(خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع معي ، ومن شاء فليمكث) فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، فقال صلى الله عليه وسلم (هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ونحبه) متفق عليه .

فالمتأمل في هذين الحديثين يرى قوله صلى الله عليه وسلم : (جبل يحبنا) وهذا يكشف لنا منزلة النبي صلى الله عليه وسلم ، عند جميع الكائنات حتى عند الجماد فقد غرس الله سبحانه وتعالى في جبل أحد حبه ، والشوق إليه مع أن الجبال لا تعقل ولا تكلف وذلك فضلا عما فيها من القوة والصلابة(١) .

---

(١) كتاب محبة النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته للعلامة خليل ملا خاطر بتصرف

فإذا كانت هذه الجمادات تحبه صلى الله عليه وسلم فكيف لا يحبه الإنسان العاقل الذي رأى فضله عليه في كل شئ

قال العارف بالله الشيخ أحمد سعد العقاد رضي الله عنه :

كل العوالم هامت في محبته ... حتى الجماد فما للروح لم تهم

والجزع وهو جماد حين فارقه ... أبدى حنينا وشوقا بالغ الألم

حنين الجزع لحبيبي صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل صنع المنبر الشريف يخطب قائما ، معتمدا على جذع نخل منصوب على يمين المحراب ، فإذا طال وقوفه صلى الله عليه وسلم وضع يده الشريفة على ذلك الجذع .

فلما كثر عدد المصلين ، وضاق المسجد بأهله ، بحيث لم يعد يستطيع الذي يصلي في آخر المسجد أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة بعد تقدم سن النبي صلى الله عليه وسلم مما جعل الصحابة رضي الله عنهم يشفقون عليه إذا طال وقوفه لذا اقترحوا عليه أن يصنعوا له منبرا ، فوافق صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فصنعوه من طرفاء الغابة .

فلما وضع النبي صلى الله عليه وسلم المنبر في موضعه ، وخرج صلى الله عليه وسلم من باب الحجرة الشريفة، يوم الجمعة يريد المنبر ، ليخطب عليه ، فلما جاوز الجذع و لم يقف عنده ، وصعد المنبر ، وإذا بالجذع يظهر تألمه لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصرخ صراخا شديدا ، ويحن حنينا مؤثرا ، حتى ارتج المسجد ، وتناثر الغبار ، وتشقق الجذع ، و لم يهدأ فتأثر الصحابة رضي الله عنهم ، وبكوا بكاء شديدا لحنين هذا الجذع .

فنــزل النبي صلى الله عليه وسلم عن المنبر وأتى الجذع ، فوضع يده الشــريفة عليه، ومسحه ثم ضمه صلى الله عليه وسلم بين يديه إلى صدره الشريف حتى هدأ ثم خيره صلى الله عليه وسلم بأن ساررِه بين أن يكون شجرة في الجنــة ، تشــرب عروقه من أنهارها ويأكل منه المؤمنون فيها وبين أن يعود شجرة مثمــرة في الدنيــا وذلك بأن يعيده إلى بستانه الذي كان فيه ، فيثمر من جديد.

فاختار الجذع المحب المشوق أن يكون شجرة في الجنة ، فقال عليه وآله الصــلاة والسلام :

(أفعل إن شاء الله ، أفعل إن شاء الله ، أفعل إن شاء الله) فسكن الجــذع ، ثم قال عليه وآله الصلاة والسلام : (والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لبقي يحن إلى قيــام الساعة شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيــح البخــاري وغيره.

فهذا الجزع وهو جماد ابتعد عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتارا أربعــة أو خمسة ، فلم يطق هذا البعد، فصرخ وحن شوقا إليه عليه وآله الصلاة والسلام وحزن على فراقه صلى الله عليه وآله وسلم ، و لم يهدأ حتى ضمه صلى الله عليه وآله وســلم وخيره.

فما هذا الإدراك عند هذا الجماد الذي لم يرض أن يعود ثانية شجرة مثمــرة في بستانه الذي كان فيه ، لأنه لو عاد فيها لكان بعيدا عن رسول الله صلــى الله عليــه وسلم عشرات أو مئات الأمتار .

ولذا فقد اختار الجنة التي لا موت فيها ، بل فيها الحياة الدائمة ليسعد بقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة التي هي دار الخلود ، وليس فيها موت أبدا ففضل الباقي على الفاني.

وهذا الجذع المشوق الولهان يكون قد أقام الله سبحانه وتعالى الحجة للنبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين الذين قصروا في محبته صلى الله عليه وسلم إذ هم أولى بهذا الشوق والحنين من هذا الجذع الذي هو جماد لا يعقل ولا يكلف (١).

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى :

(يا معشر المسلمين ، الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إلى لقائه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه صلى الله عليه وسلم) .

حنين الجزع أعظم من إحياء الموتى :

وقال الشافعي رحمه الله :

(ما أعطى الله تعالى نبيا ما أعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم.

فقال له عمرو بن سواد : أعطى سيدنا عيسى عليه السلام إحياء الموتى.

فقال الشافعي رحمه الله : أعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم حنين الجذع حتى سمع صوته ، هذا أكبر من ذلك) .

فإحياء الميت إعادته إلى ما كان عليه ، أما حنين الجذع فهو أعظم ، لأن الجذع أصله نبات ، فلو أعيد كان نباتا ، وليس النبات من شأنه أن يتكلم أو ينطق أو يحس الإحساس الذي يحسه العقلاء والمدركون ، بينما هنا هذا الجذع جعله الله تعالى

---

(١) راجع كتاب محبة النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته للعلامة خليل ملا خاطر بتصرف

ينطق ويحس ويحب ويحزن كحال العقلاء فكان هذا أبلغ وأعظم من إحياء الموتى.

سلام الأحجار والأشجار على حبيبي صلى الله عليه وسلم

إن من التعبير عن المحبة : السلام فإذا أحب الإنسان أحدا أراد أن يسلم عليه كلما لقيه وهذا ما حدث من الأحجار والأشجار فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن).

رواه مسلم

وفي رواية عند أحمد والترمذي والبيهقي : (كان يسلم علي ليالي بعثت) .

وهذا السلام من هذا الحجر إنما هو إظهار لمحبته للنبي صلى الله عليه وسلم :

(كما عبر أيضا عن المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الجبل والشجر والمدر).

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا معه في بعض نواحيها ، فمررنا بين الجبال والشجر ، فلم نمر بشجرة ولا جبل ، إلا قال : (السلام عليك يارسول الله).

رواه أحمد

وفي لفظ : (فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه).

رواه الترمذي

وفي لفظ للبيهقي : (فما استقبله شجر ولا مدر إلا قال له : السلام عليك : يا رسول الله).

وللبيهقي أيضا : (لقد رأيتني أدخل معه ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، وأنا أسمعه) .

رواه الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي

ففي هذه الأحاديث دلالة واضحة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم : كان لا يمر بحجر ولا شجر ولا جبل ولا مدر إلا وسلم عليه ، عليه وآله الصلاة والسلام وكذلك الأشجار.

فعن يعلي بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال :

(بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فترلنا منزلا ، فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ، ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له ذلك . فقال : هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلم علي ، فأذن لها) .

رواه أحمد والطبراني والبيهقي ورجال أحمد رجال الصحيح

سجود الحجر والشجر لحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :

(خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت إليهم — قال : فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم ، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ،

فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة ، لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ، ولا يسجد إلا لنبي) .

رواه ابن أبي شيبه واللفظ له ، والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه .

قال الحافظ بن حجر رحمه الله في فتح الباري — عند شرحه لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي : (وأول ذلك مطلقا ما سمعه من بحيرا الراهب، وهو عند الترمذي بإسناد قوي عن أبي موسى ... الخ).

له شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

حيث قال :

(جاء رجل من بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم كان يداوي ويعالج فقال : يا محمد إنك تقول أشياء ، فهل لك أن أداويك ؟ قال : فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : ((هل لك أن أريك آية)) وعنده نخل وشجر ، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عذقا منها فأقبل إليه ، وهو يسجد ويرفع ويسجد ويرفع رأسه حتى انتهى إليه فقام بين يديه ، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ارجع إلى مكانك)) فرجع إلى مكانه فقال : (والله لا أكذبك بشيء تقوله بعدها أبدا) .

رواه أبو يعلى والترمذي والحاكم ، وصححاه .

فرح المدينة بحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن دلائل المحبة الفرح بقدوم الحبيب ويكون التعبير عنه باشراق النور وزيادة الضوء كما أن من دلائل الحزن والأسى على فراق المحبوب أن يظلم كل شيء .

وهكذا كانت المدينة يوم استقبالها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ، ويوم توديعها له صلى الله عليه وسلم يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

(لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أضاء من المدينة كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أظلم من المدينة كل شيء ، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا) .
رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه

فهذه المدينة المنورة فرحت به صلى الله عليه وسلم يوم قدومه عليها فأشرقت بالضياء وحزنت عليه صلى الله عليه وسلم يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى فأظلمت وهذا يدفعنا للتنافس في حبه صلى الله عليه وسلم مع هذه الأشياء التي لا تعقل ولا تدرك.

محبة الشاة لحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذه شاه بعد موها تحرص على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة حبها له ففي الصحيحين لما انتهت غزوة خيبر سألت يهودية عن أحب الأعضاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة فلما أخبرت بذلك ذبحت شاه وطبختها وسمتها ، وزادت السم في الذراع، وقدمتها للنبي صلى الله عليه وسلم فلما جلس ومعه بعض أصحابه رضي الله عنهم وتناول الذراع ، أخبرته الذراع بأنها مسمومة ، وأن الشاة كلها مسمومة فقال لأصحابه صلى الله عليه وسلم :
(ارفعوا أيديكم) ثم دعا يهود فاعترفوا بذلك.

وفي رواية واللفظ لمسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، فقالت : أردت لأقتلك قال : (لا ما كان الله ليسلطك على ذلك) .

وفي رواية البزار :

فلما مد يده ليأكل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن عضـــوا مـــن أعضائها يخبرني أنها مسمومة) .

وفي رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

(لما فتحت خيبر ، أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم زاد في رواية أبي داود والبيهقي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود فجمعوا له فقال صلى الله عليه وسلم :

((إني سائلكم عن شيء ، فهل أنتم صادقوني عنه ؟)) فقالوا : نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من أبوكم)) . قالوا أبونا فلان فقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كذبتم ، بل أبوكم فلان)) فقـــالوا : صدقـــت وبررت ... والحديث ، وفيه : ثم قال لهم : ((هل أنتم صادقوني عـــن شـــيء إن سألتكم عنه؟)) قالوا: نعم ، فقال : ((هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ فقالوا : نعـم فقال: ((ما حملكم على ذلك ؟)) فقالوا : أردنا إن كنت كاذبا نستريح منـــك، وإن كنت نبيا لم يضرك).

وكذلك من شأن المحب أن يغار على محبوبه أن يدخل جوفه طعام مشبوه ، لأن في ذلك إيذاء له ، وهو لا يريد له الإيذاء وهذا ما حدث من الشاة التي ذبحت من غير إذن أهلها ، وقدمت له صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه رضي الله عنـــهم فأخبرته بذلك .

فعن رجل من الأنصار رضي الله عنه قال :

(خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القبر يوصي الحافر : ((أوسع من قبل رجليه ، أوسع من قبل رأسه)) فلما رجع ، استقبله داعي امرأة فجاء ، وجيء بالطعام ، فوضع يده، ثم وضع القوم فأكلوا ، فنظر آباؤنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوك لقمة في فمه ، ثم قال : ((أجد لحم شاه أخذت بغير إذن أهلها)) فأرسلت المرأة ، قالت يارسول الله ، إني أرسلت إلى البقيع ، ليشتري لي شاة ، فلم أجد ، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة : أن أرسل إلي بها بثمنها ، فلم يوجد فأرسلت إلى امرأته ، فأرسلت إلي بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أطعميه الأسارى)) .

رواه أبو داود وأحمد والبيقهي والدار قطني بأسانيد صحيحة .

وفي رواية عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، مروا بامرأة فذبحت لهم شاة ، واتخذت لهم طعاما فلما رجع قالت: يارسول الله ، إنا اتخذنا لكم طعاما ، فادخلوا فكلوا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكانوا لا يبدأون حتى يبتدئ النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم لقمة ، فلم يستطع أن يسيغها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها)) فقالت المرأة : يا نبي الله ، إنا لا نحتشم من آل سعد بن معاذ ، ولا يحتشمون منا ، نأخذ منهم ويأخذون منا).

رواه أحمد برجال الصحيح .

تسبيح الطعام والحصى :

إن من التعبير عن الحب إظهار الآيات بين يدي المحبوب من غير طلب وذلك كتسبيح الطعام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مظهر من مظاهر التعبير عن المحبة.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال :

(كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقل الماء فقال : ((اطلبوا فضلة من ماء)) فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : ((حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله)) فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل). رواه البخاري .

وجاء في روايات أخرى سبح الحصى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يقتصر تسبيحها في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل سبحت في يد أبي بكر ويد عمر ويد عثمان ويد علي رضي الله عنهم جميعا.

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر الطعام والحصيات بإظهار التسبيح ولكنه نوع من إظهار الحب والتقدير .

فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال :

(إني لشاهد عند النبي صلى الله عليه وسلم في حلقة ، وفي يده حصيات ، فسبحن في يده وفينا أبوبكر وعمر وعثمان وعلي يسمع تسبيحهن من في الحلقة ، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فسبحن مع أبي بكر ، يسمع تسبيحهن من في الحلقة ، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان فسبحن في يده يسمع تسبيحهن من في الحلقة ، ، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر فسبحن في يده يسمع تسبيحهن من في الحلقة ، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا).

رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بإسنادين أحدهما برجال ثقات .

محبة الشجرة لحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذه شجرة تحب المصطفى صلى الله عليه وسلم وتريد إخباره بوجود الجن لأن من طبع المحب إعلام محبوبه بما يخشى عليه منه ولما كان الجن يكثر فيهم الشر ورأت الشجرة أن نفرا منهم خلفها يستمعون القرآن منه عليه وآله الصلاة والسلام، في تلك الليلة الشديدة ، بعد أن لقي من أهل الطائف الصد والإعراض فخافت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة حبها له فأخبرته هذه الشجرة بوجود هؤلاء النفر الذين يستمعون إليه صلى الله عليه وسلم .

فعن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال :

(سألت مسروقا : من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : حدثني أبوك يعني عبدالله أنه آذنته بهم شجرة) .

متفق عليه .

وكذلك من إظهار المحبة للمحبوب الشهادة له فهذه الكائنات كلها حتى الجماد والشجر تشهد بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا ما حدث عندما استشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة سمر من الشجر .

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال :

(كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أين تريد ؟)) قال : إلى أهلي ، قال : ((هل لك إلي خير ؟)) قال : ما هو ؟ قال : ((تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله)) قال : هل من شاهد على ما تقول؟ قال صلى الله عليه وسلم : ((هذه السمرة)) فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطيء الوادي ، فأقبلت تخد الأرض خدا ، حتى كانت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا ،

فشهدت أنه كما قال : ثم رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه ، وقال : إن يتبعوني أتيتك بهم ، وإلا رجعت إليك، فكنت معك) .

رواه ابن حبان والدارمي

محبة الحيوان وأدبه مع حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن من المحبة توقير المحبوب واحترامه وإدخال السرور إليه لأن الإنسان العاقل المحب يفعل ذلك مع من يحب وهذا ما حدث من الحيوان فقد شارك الإنسان في ذلك .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت :

(كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد ، وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض فلم يترمرم ، ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت كراهية أن يؤذيه) .

رواه أحمد .

فهذا حيوان يعرف قدر النبي صلى الله عليه وسلم ويحبه ويجله ولا يقلق راحته بلعبه وحركته فإذا أحس بدخوله صلى الله عليه وسلم لم يتحرك وهو حيوان فماذا يقال للذين يصدر عنهم ما لا يليق عند زيارته صلى الله عليه وسلم أسأل الله تعالى أن يرزقنا الأدب الكامل معه ومع نبيه صلى الله عليه وسلم .

توقير الأسد لخادم حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذه أيضا حادثة رائعة تدل على مدى حب الحيوان وتقديره للنبي صلى الله عليه وسلم حتى بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى.

فعن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها ، فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة [1] فيها الأسد فأقبل إلي يريدني فقلت يا أبا الحارث ، أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: زاد في رواية ، كان من أمري كيت وكيت ، فأقبل الأسد فطأطأ رأسه وأقبل إلي فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ، ووقفني على الطريق ، ثم همهم فظننت أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به) .

رواه الحاكم.

وقد قال ابن سيد الناس رحمه الله تعالى :

والليث أذوى في سفينة مفردا	بالروم في فيفاء قفر بلقع
مازال يكلؤه إلى أن دله	عند الأمان على سواء المشرع

فهذا الأسد عندما سمع من سفينة رضي الله عنه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منه إلا أن طأطأ رأسه إجلالا له ومحبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يكتف بذلك ، بل بقي يسير معه ويوجهه من مكان لآخر ، وإذا سمع صوتا ذهب إليه ثم عاد إلى سفينة رضي الله عنه حتى أوصله إلى الطريق الذي فيه الجيش الذي كان قد ابتعد عنه.

محبة الجمل وسجوده لحبيبي صلى الله عليه وسلم

إن سجود الجمل للنبي صلى الله عليه وسلم وخضوعه بين يديه واستجابته له دليل على المحبة الفائقة.

---

(١) الأجمة : الشجر الكثير الملتف المعجم الوسيط

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

(كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه[(١)] ، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ((قوموا)) فقاموا فدخل الحائط ، والجمل في ناحيته فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، فقالت الأنصار : يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب نخاف عليك صولته ، قال : ((ليس علي منه بأس)) فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، هذا بهيمة لا يعقل بسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك قال : ((لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها ..))) رواه أحمد

وفي رواية عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال :

(خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر الحديث بطوله ، وفيه : ثم سرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا فجاء جمل ناد فلما كان بين السماطين خر ساجدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس من صاحب هذا الجمل؟)) فقال فتية من الأنصار : هو لنا يارسول الله ، قال : ((فما شأنه ؟)) قالوا : سنونا[(٢)] عليه منذ عشرين سنة ، فلما كبرت سنه وكان عليه شحيمة ، أردنا نحره

---

(١) يسنون عليه : يسقون عليه

(٢) ، سنونا عليه : أي سقينا عليه .

لنقسمه بين غلمتنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((تبيعونـــه ؟))
قالوا : يارسول الله هو لك قال : ((فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله)) قالوا يارسول الله
نحن أحق أن نسجد لك من البهائم فقال رسول الله صلى الله عليه وســلم : ((لا
ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ، ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن)) .
رواه ابن أبي شيبة وقال ابن كثير إسناده جيد

والسجود هنا هو سجود محبة وتحية وتعظيم لا سجود عبادة لأن العبادة لا تكون
إلا لله عز وجل .

اضطراب جبل أحد وحراء وثبير :

هذا ومن شأن المحب إن لقى محبوبه أن يفرح ويهتز طربا لأن هذا هو التعبير عـــن
الحب ولكن بلا إيذاء للمحبوب ولذا لما حدث ذلك من جبل أحد وحـــراء وثبـــير
أمرهم صلى الله عليه وسلم بالسكون فاستجابوا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فورا.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وســلم صعــد أحــدا
وأبوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال :
(اثبت أحد ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان) .
رواه البخاري
وفي رواية أخرى له أيضا : (فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)
وعن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال :
(ارتج أحد وعليه النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر وعثمان ، فقـــال
النبي صلى الله عليه وسلم : ((اثبت أحد ،ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان)) .
رواه أحمد

جبل حراء :

وكذلك جاء في جبل حراء . فعن أبي هريرة رضي الله عنه :

(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ، هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد))).

رواه مسلم

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال :

(أشهد على التسعة أنهم في الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم آثم ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق او شهيد)) قيل: ومن هم؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن ، قيل : فمن العاشر ؟ قال : أنا) .

رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه

وكذلك أيضا استجابة جبل ثبير في مكة ، عندما اهتز تحت قدمي النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالسكون فسكن.

فعن ثمامة بن حزن القشيري رحمه الله تعالى قال :

(شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال : (أنشدكم بالله والإسلام ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبوبكر وعمر وأنا فتحرك الجبل فركله رسول الله صلى الله عليه وسلم

برجله، وقال : ((اسكن ثبير ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان))؟ قالوا : اللهم نعم. قال : الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة ، يعني أني شهيد).

رواه الترمذي والسنائي والدارقطني.

فتأمل أيها المؤمن أن اهتزاز هذه الجبال الصم الشداد عندما صعد عليها النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أفضل الصحابة إنما كان فرحا بصعودهم وانتعاشا بقربهم ولم يكن اهتزازهم مثل الزلازل التي تحدث بدليل سكونهم بعد أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم .

وهذه الجبال بالذات حدث منها ذلك لوجودها بقرب النبي صلى الله عليه وسلم فأحد في المدينة وحراء وثبير في مكة المكرمة ولذا فقد اهتزت وطربت .

قال القاضي أبوبكر بن العربي رحمه الله تعالى في العارضة :

(إنما اضطربت الصخرة ورجف الجبل استعظاما لما كان عليه من الشرف وبمن كان عليه من الأشراف) .

وعلى ذلك فأمر النبي صلى الله عليه وسلم للجبل بالسكون لأنه يعلم أنها لم تكن هذه الرجفة زلزلة غضب وإنما كانت هزة طرب انتابتها عندما شعرت بقربه صلى الله عليه وسلم .

بين اهتزاز الجبل ورجفته بقوم موسى عليه السلام :

وقال ابن المنير فيما نقله القسطلاني رحمهما الله تعالى ، في الإرشاد :

الحكمة في ذلك أنه لما ارتجفت اراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه السلام لما حرفوا الكلم ، فتلك

رجفة الغضب ، وهذه هزة طرب ، ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة ، التي توجب سرور ما اتصلت به فأقر الجبل بذلك ، فاستقر .

ولهذا وجه النبي صلى الله عليه وسلم خطابه لهذه الجبال وعاملها معاملة العاقل بالقول حيث خاطبها صلى الله عليه وسلم بقوله : (اثبت أحد) (اسكن ثبير) (اثبت حراء) وبالفعل وهو ضربه صلى الله عليه وسلم لها برجله فسكنت .

والفرق كبير بين اهتزاز الجبل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبمن معه ورجفه الجبل بموسى عليه السلام وبمن معه.

فقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه الكريم عن اهتزاز الجبل عندما صعد عليه موسى عليه السلام ومعه سبعون من أعيان بني اسرائيل .

وأما اهتزاز هذه الجبال ، جبال أحد وحراء وثبير فقد اهتزت طربا بمن كان عليها وهم النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أفضل أصحابه رضي الله عنهم: (صديق وشهيد).

أما قوم موسى عليه السلام ؛ فقد عبدوا العجل وخالفوا موسى عليه السلام ولما طلب منهم التوبة ، أظهروها ولكنهم لما جاء الموعد ، وكلم الله تعالى موسى عليه السلام ، وإذا بهم قد تمادوا في غيهم وطلبوا الرؤية ، لذا غضب الله تعالى عليهم ، وأمر الجبل فرجف بهم ، فأخذتهم الصاعقة وماتوا جميعا ، حتى طلب موسى عليه السلام من ربه جل شأنه أن يحييهم .

قال الله عز وجل : (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلمــــا أخذهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خــير الغافرين). سورة الأعراف ، آية : ١٥٥

وقال الله سبحانه :

(وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبــوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هــو التــواب الرحيم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون).سورة البقرة : آية : ٥٤/٥٦

استجابة السحاب لإشارة حبيبي صلى الله عليه وسلم

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم السحاب بالتفرق ، فامتثل في الحال وأطيــاع، وقد كان ذلك في المدينة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

(أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام أعرابي فقال : يا رسـول الله هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا أن يسقينا ، قال فرفع رسول الله صلـــى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قزعة ، قال فثار سحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينـــزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ، قال فمطرنا يومنا ذلك وفي الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال : يـــا رسول الله ، تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا، فرفع رسول الله صلى الله عليــه وسلم يديه وقال : ((اللهم حوالينا ولا علينا)) قال : فما جعل يشير بيده إلى ناحية

من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة مثل الجوبة [1] حتى سال الوادي وادي قناة شهرا ، قال : فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود). متفق عليه.

زاد في رواية مسلم :

(فرأيت السحاب يتمزق كأنه الملاء حين تطوى حيث شبه تقطع الغيم وطيه على بعضه بالملحفة التي تلتف بها المرأة إذا كانت منشورة ثم تطوى والله تعالى أعلم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وفيه : (أي في هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، في إجابة الله تعالى دعاء نبيه عليه وآله الصلاة والسلام عقبه أو معه ابتداء في الاستسقاء وانتهاء في الاستصحاء وامتثال السحاب أمره بمجرد الإشارة) .

فهذا كله يدلنا على محبة الكائنات له صلى الله عليه وسلم وطاعتها له .فكيف لا يتفانى المؤمن في طاعته والتزام سنته وهو الإنسان العاقل الذي يدعي المحبة له صلى الله عليه وسلم .

محبة الإمام مالك للمدينة

ولقد جاء في ترجمة الإمام مالك رضي الله تعالى عنه أنه كان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول :

لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة وهذا من عظيم محبته للنبي صلى الله عليه وسلم كذلك من عظيم محبته وإجلاله له أنه إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال : (أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم).

---

(١) الجوبة : الفرجة في السحاب وفي الجبال كما في المعجم الوسيط.

وهذا الإمام البخاري رحمه الله تعالى ورضي الله عنه كان يقول : كما جـــاء في ترجمته أيضا (ما وضعت حديثا إلا اغتسلت وصليت ركعتين) .

وما ذلك إلا من عظيم محبته وإجلاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الامام ابو العزائم:

حرارة الشوق

غلب الشـــــوق وانتهى التلويـــح	وبدا لي في حبـــــــه التصريـــح
ويح قلبي لا أســـــتطيع اكتتامــا	لهواه وقد عـــــــلا التبريــــح
كل ما قد يراه غيري قبيحـــــا	في غرام الجمـــــال عندي مليـــح
ظهروا لي فحيرونــــــي صرفـــا	ففؤادي بحبهــــــــم مقـــــروح
حسنهم أدهش العقـــــول وهاقـــد	حار في وصفه اللبيـــــب الفصـــيح
فدعوني أبوح بالـــــحب إنـــــي	كلما قد بدا الجمـــــــال أصيـــح

حب رسول الله صلى الله عليه وسلم

سر الوصول إلى الجناب العالـــــي ... حب النـبي محمـــــد والآل

تعطي القبول وترفعن لجنابــــه ... وتنال ما تـــرجـــوه من آمـــال

والفضل لا يعطى لعلة عامـــل ... نزه إلهك عن ســـوى ومثـــال

كم عامل في ظلمـــة لا يشـــهدن ... إلا وساوس نفســـه بخـــيال

والفضل فضل الله يعطـــي منـــة ... بالحب في طه العـــزيز الغالـــي

من لحظة في الحب تشهد وجهـــه ... وتفوز منه بحبه والحـــال

تعطى العلوم وتشهدن فتترجمـــن ... بلسان أهل القرب والأبـــدال

تعطى الجمال فلا يراك مصـــدق ... إلا ويشهد نـــوره المتلالـــي

من أين هذا النور والعلم الـــذي ... أعطيته من لحظـــة في الحـــال

من حب قلبي للحبيب محمـــد ... نلت المنـــى وتحققت آمالـــي

بشرى لمن عشـــقوا جمال محمـــد ... نالوا القـــبول من الولي الـــوالـــي

لأنا يا حبيبي في هواك متيـــم ... وشهود وجهـــك بغيتي ونوالـــي

واجه بهذا الوجه مضيء مغرمـــا ... يرجو نوال القـــرب والإيصـــال

أنت الوسيلة أنت نور قلوبـــنا ... أنت الشفيع بحضـــرة المتعـــال

حب الله تعالى وتكريمه لحبيبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم

لقد بلغ من حب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن كرمه الله تكريمـــا لم ينله أحد من الخلق ففضله على العالمين ، فكرم ذاته الشريفه وعقله وقلبـــه وفـؤاده وصوته ونطقه ولسانه ويده وعينيه وسمعه وبصره ووجهه وصدره وظهره ورؤيـــاه ودثاره ونسبه وآل بيته ونسائه وأصحابه وبلده وحجراته وعصره ولغته وأمته وأسمائـه وكل مايتصل به صلوات الله وسلامه عليه ، فأي تكريم بعد هذا التكريم العظيـــــم ، وأي محبة بعد هذه المحبة الإلهية وإليك بعض هذه الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك .

لقد كرم الله تعالى ذاته الشريفة ففضله على العالمين بدليل قوله تعالى في ســـورة الأنعام بعد أن ذكر ثمانية عشر رسولا وذكر إمامهم صلى الله عليه وسلم : (وكـــلا فضلنا على العالمين) .

سورة الأنعام ، آية : ٨٦

فهؤلاء الأنبياء والمرسلون فضلوا على العالمين وحبيبنا صلى الله عليه وسلم ســـيد ولد آدم لقوله صلى الله عليه وسلم : ((أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر)) .

رواه البخاري ومسلم

وبذلك يكون عليه الصلاة والسلام أفضل العالمين .

ومدح عقله صلى الله عليه وسلم وحفظه من الضلال والزيغ قـــال الله تعـــالى: (ما ضل صاحبكم وما غوى)

سورة النجم ، آية : ٢

وذكر قلبه الشريف بقوله سبحانه وتعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبـــــك لتكون من المنذرين)

سورة الشعراء ، آية : ١٩٤

وطهر فؤاده صلى الله عليه وسلم وكرمه تكريما عظيما قال الله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى)

سورة النجم ، آية : ١١

وثبت بصره صلوات الله وسلامه عليه وحفظه من الزيغ والطغيان فهو بصر مطهر محفوظ بالعناية الإلهية قال الله تعالى : (ما زاغ البصر وما طغى)

سورة النجم ، آية : ١٧

وما ذلك إلا لكمال محبة الله تعالى له وعنايته الفائقة به .

وشرف صوته حتى جعل رفع الصوت في حضرته صلوات الله وسلامه عليه محبطا للأعمال . قال الله تعالى : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)

سورة الحجرات ، آية : ٢

وحفظ نطقه الشريف وطهره بقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

سورة النجم ، آية : ٣

وذكر لسانه الشريف بقوله سبحانه وتعالى : (فإنما يسرناه بلسانك)

سورة مريم ، آية : ٩٧

وكرم يده صلى الله عليه وسلم وجعلها نيابة عن يد الحق تبارك وتعالى قال سبحانه : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)

سورة الفتح ، آية :١٠

وكرم وجهه صلى الله عليه وسلم فاستجاب لتقلبه في السماء قال تعالى : (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها)

سورة البقرة ، آية : ١٤٤

وشرح صدره صلوات الله وسلامه عليه وملأه نورا وحكمة ويقينا وتشريفا لمقامه العظيم قال الله تعالى : (ألم نشرح لك صدرك)

سورة الإنشراح ، آية : ١

وسجل رؤياه الصادقة بدخول المسجد الحرام في القرآن العظيم قال تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)

سورة الفتح ، آية : ٢٧

بل لقد ذكر دثاره صلى الله عليه وسلم وما يتزمل به عند نزول الوحي تأنيسا لحاله وملاطفة له وسمى سورتين في القرآن المجيد بذلك قال الله تعالى : (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا)

سورة المزمل ، آية :١

وقال تعالى : (يا أيها المدثر قم فأنذر)

سورة المدثر ، آية : ١

وما ذلك إلا لمنتهى التكريم والمحبة له صلى الله عليه وسلم

شرف آل البيت :

وأثنى على أهل بيته صلى الله عليه وسلم وطهرهم وأعلى مقامهم إكراما لذاته الشريفة ومكانته العالية عند ربه سبحانه وتعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

سورة الأحزاب ، آية : ٣٣

وحث على برهم ومودتهم قال الله تعالى · (قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)

سورة الشورى ، آية : ٣٣

وأمرنا أن نصلي عليهم فقال سبحانه وتعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

سورة الأحزاب ، آية :

فلما نزلت هذه الآية قال بشير بن سعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا الله أن نصلى عليك فكيف نصلي عليك؟ قال : ((قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ....) الخ .

رواه مسلم .

وفضل ابنته فاطمة على نساء العالمين جميعا وليس على عالم زمانها كالسيدة مريم الصديقة وجعل ولديها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وعمه حمزة سيد الشهداء جميعا وما ذلك إلا لمحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ورفع قدر نسائه صلوات الله وسلامه عليه وفضلهن على نساء العالمين قال تعالى: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء)

سورة الأحزاب ، آية ٢٣

وجعلهن أمهات المؤمنين مراعاة لحرمته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)

سورة الأحزاب ، آية : ٦

منزلة الصحابة والأجلاء :

ومدح أصحابه صلى الله عليه وسلم وفضلهم تفضيلا عظيما وذكرهم في التوراة والإنجيل تكريما لصحبتهم لسيد العالمين صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بيهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا)

سورة الفتح ، آية ٢٩

ومدح أفضلهم وهو سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه. في قوله تعـــالى : (إذ يقول لصحابه لا تحزن إن الله معنا)

سورة التوبة ، آية : ٤٠

وفضل بلده التي نشأ فيها وسمى سورة في القرآن باسمها وأقسم بها تكريما لحلولـه فيها قال الله تعالى : (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد)

سورة البلد ، آية : ١

وذكر حجراته صلى الله عليه وسلم التي كان يسكن فيها وجعل سورة في القرآن باسمها وأدب الذين ينادونه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات بقوله ســبحانه : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)

سورة الحجرات ، آية : ٤

الأمة المحمدية خير الأمم :

وفضل له أمته وجعلها خير أمه أخرجت للناس جميعا محبة فيه وتكريما وتشـــريفا وتعظيما لمقامة السامي ومترلته الرفيعة ، قال الله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجـــت للناس)

سورة آل عمران ، آية ١١٠

وجعلها شهيدة على الأمم جميعا قال الله تعالى : (لتكونوا شهداء على الناس).

سورة البقرة ، آية : ١٤٣

وفضل عصره الذي كان يعيش فيه وأقسم به تكريما لذاته الشريفة وحياته العظيمة لذا قال كثير من المفسرين في قوله تعالى : (والعصر إن الإنسان لفي خسر)

سورة العصر ، آية : ١

أي أقسم بعصر النبوة لقوله عليه الصلاة والسلام : (خير القرون قرني ثم الذيـــن يلونهم ثم الذين يلونهم).

رواه البخاري.

وكذلك كرم لغته فجعلها لغة أهل الجنة قال تعالى : (بلسان عربي مبين).

سورة الشعراء ، آية :١٩٥

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أحبوا العرب لثـــلاث : لأني عـــربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي)

رواه الترمذي

وأقسم الله بعمره صلى الله عليه وسلم و لم يقسم بأحد من البشر أو الملائكة قــال الله تعالى : (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)

سورة الحجر ، آية : ٧٢

وأقسم على إنعامه عليه وعظيم قدره لديه وأنه ما ودعه ولا قلاه قال الله تعــالى : (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى)

سورة الضحى ، آية : ١

وطهر نسبه الشريف فقال الله تعالى : (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حــين تقوم وتقلبك في الساجدين)

سورة الشعراء ، آية : ٢١٩

قال الألوسي في تفسيره (١) واستدل بالآية على إيمان أبويه صلى الله عليه وسلم كما ذهب إليه كثير من أجلة أهل السنة وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضــي الله عنهما بغير ذلك .

كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى :

وذكر الله تعالى أسماءه الشريفة وجعل سورة باسمه العظيم وهي سورة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل علــى محمد)

سورة محمد ، آية : ١

---

(١) راجع تفسير الألوسي (ج٢٠ص١٣٨)

وقد ذكر العلماء : أن الأفضل على الاطلاق في الأسماء هو اسمه صلى الله عليه وسلم .محمد وأحمد ولذلك ذكره سبحانه بقوله :

(ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)

سورة الصف ، آية : ٦

وقال كثير من المفسرين : لقد أقسم الله تعالى باسمه المبارك وبالقرآن الحكيم على تحقيق رسالته . قال الله تعالى : (يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم)

سورة يس ، آية : ١

وخاطبه سبحانه وتعالى بقوله : (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)

سورة طه ، آية :١

وسماه الله تعالى باسمين من أسمائه الحسنى قال الله تعالى : (بالمؤمنين رءوف رحيم)

سورة التوبة ، آية : ١٢٨

وسماه تعالى نورا قال الله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)

سورة المائدة ، آية : ١٥

فقال كثير من المحققين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سماه نورا وسماه سراجا منيرا قال الله تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)

سورة الأحزاب ، آية : ٤٦

وأقسم سبحانه على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه من الفضل العميم قال الله تعالى : (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم). سورة القلم ، آية : ١

أي مدحه بجوامع المحاسن وأعظم الأخلاق ومحامد وتلك منحة كبرى تفوق الوصف والبيان.

وجعل رسالته رحمة للعالمين جميعا قال الله تعالى : (ومـــا أرســـلناك إلا رحمـــة للعالمين).

سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧

وامتن على المؤمنين ببعثته قال الله تعالى : (لقد من الله على المؤمنـــين إذ بعـــث فيهم رسولا من أنفسهم).

سورة آل عمران ، آية : ١٦٤

و لم يمتن سبحانه في القرآن إلا بهذه المنة ومنة الإيمان فقط قال تعالى : (بـــل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان).

سورة الحجرات ، آية : ١٧

بعض منح الله تعالى لحبيبي صلى الله عليه وسلم :

ومنحه الفتح والمغفرة والهداية والنصر ابتداء من الحق تبارك وتعالى قبل الطلـــب والدعاء قال الله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبـــك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا)

سورة الفتح ، آية : ١

واختصه الله بالعناية والرعاية الخاصة قال تعالى : (واصبر لحكم ربـــك فـــإنك بأعيننا)

سورة الطور ، آية : ٤٨

وتولى الله تعالى عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس والدفاع عنـــه قـــال الله تعالى: (والله يعصمك من الناس)

سورة المائدة ، آية : ٦٧

ودافع عنه وشنع على مبغضه : قال الله تعالى : (إن شانئك هو الأبتر)
سورة الكوثر ، آية : ٣

أي مبغضك هو المقطوع عن كل خير .

ومنحه الله تعالى السبع المثاني والقرآن العظيم قال الله تعالى : (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) سورة الحجر ، آية : ٨٧

وأذن الله تعالى له في الكوثر قال الله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر)
سورة الكوثر ، آية : ١

وأعطاه الله الشفاعة العظمى والمقام المحمود قال الله تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)
سورة الإسراء ، آية : ٧٩

بل وأعطاه الله تعالى حتى يرضى قال الله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) سورة الضحى ، آية : ٥

فقال صلى الله عليه وسلم : ((إذن والله لا أرضى قط وواحد من أمتي في النار))

وأراه أكبر آياته قال تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)
سورة النجم ، آية : ١٨

أخذ العهد على الأنبياء :

و لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد أن يؤمن به صلوات الله وسلامه عليه وينصره ويأخذ بذلك العهد على قومه قال تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) سورة آل عمران ، آية : ٨١

وما ذلك إلا رفعة لمكانته وإعلاء لذكره في العالمين في كل مكان وزمان .

وأن الله تعالى جعل طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله ومبايعته مبايعة له سبحانه واتباعه موجبا لمحبته تعالى وسببا لمغفرته قال الله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

سورة النساء ، آية : ٨٠

وقال الله تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)

سورة الفتح ، آية : ١٠

وقال الله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)

سورة آل عمران ، آية : ٣١

وأن الله تعالى علمه صلى الله عليه وسلم من لدنه علما وأسبغ عليه فضله العظيم قال الله تعالى : (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

سورة النساء ، آية ١١٣

وأعلى شأنه فجعل إتيانه صلى الله عليه وسلم واستغفاره لأمته سببا لقبول توبتهم قال الله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما).

سورة النساء ، آية : ٦٤

وأمر المؤمنين أن يتأدبوا معه صلى الله عليه وسلم في النداء قال الله تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)

سورة النور ، آية : ٦٣

أي لا تنادونه باسمه مجردا بل يجب نداؤه بألفاظ النبوة أو الرسالة أو السيادة .

صلاة الله تعالى وملائكته والمؤمنون :

وخصه الله تعالى بالصلاة عليه وملائكته وأمر المؤمنين بها قال تعـــالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

سورة الأحزاب ، آية : ٥٦

ورفع العذاب عن أمته إكراما له صلى الله عليه وسلم فحفظهم مـــن الصواعـــق والخسف والمسخ.

قال الله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)

سورة الأنفال ، آية : ٣٣

وجعل الإيمان لا يتم إلا بالتسليم له صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه قـــال الله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

سورة النساء ، آية : ٦٥

وأمر المؤمنين أن يرضوه صلوات الله وسلامه عليه وأن يتبعوا هديه ويجتنبوا نهيـــه قال الله تعالى : (والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين)

سورة التوبة ، آية : ٦٢

وقال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

سورة الحشر، آية : ٧

ونادى أنبياءه بأسمائهم كقوله تعالى : (يا يحيى خذ الكتاب بقوة)

سورة مريم ، آية : ١٢

وقوله سبحانه : (يا نوح اهبط بسلام)

سورة هود ، آية : ٤٨

وهكذا مع غيره من الأنبياء ولكنه لم يوجه النداء لحبيبه صلى الله عليه وسلم باسمه مجردا بل ناداه بألقاب التكريم والتشريف والتعظيم قال الله تعالى : (يا أيها الرسـول بلغ ما أنزل اليك من ربك)

سورة المائدة ، آية : ٦٧

وقال تعالى : (يا أيها النبي إنا إرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)

سورة الأحزاب ، آية : ٤٥

وجعله الله تعالى هاديا لنا ليخرجنا من الظلمات إلى النور ويوصلنا إلى جنـات النعيم . قال الله تعالى : (وإنك لتهدي إلىصراط مستقيم)

سورة الشورى ، آية : ٥٢

وقال الله تعالى : (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم)

سورة ابراهيم ، آية : ١

وأعطاه الله تعالى مقاما عظيما وفضلا كبيرا ليعطي منه من يشاء قال الله تعالى : (حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله)

سورة التوبة ، آية : ٥٩

وخصه برؤية الله تعالى فقال لسيدنا موسى : (لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) ولكنه أشهد حبيبه صلى الله عليه وسلم ذاته العلية بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة ولا انحصار ليلة الإسراء والمعراج من غير سؤال ولا طلب قال الله تعالى : (ثم دنا فتدلى فكـان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى)

سورة النجم ، آية : ١٠

وحرم أزواجه على المؤمنين من بعده صلى الله عليه وسلم مراعاة لحرمته الشريفة لأنهن أمهات المؤمنين إكراما له صلوات الله وسلامه عليه قال الله تعالى : (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا)

سورة الأحزاب ، آية : ٥٣

محبة حبيبي صلى الله عليه وسلم مقرونة بحب الله تعالى :

وجعل محبته صلى الله عليه وسلم مقرونة بمحبة الله تعالى وانها يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب لدى الإنسان قال الله تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) سورة التوبة ، آية : ٢٤

ورفع ذكره في العالمين ،قال الله تعالى : (ورفعنا لك ذكرك)

سورة الإنشراح ، آية : ٣

فجعل اسمه صلوات الله وسلامه عليه مقرونا باسمه سبحانه وتعالى في كل أذان وإقامة وتشهد وهكذا ، لم يخل زمان ولا مكان من ذكره صلى الله عليه وسلم.

وصدق شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت إذ يقول :

وضم الاله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن اشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

إلى غير ذلك من المنح والخصائص التي لا تحصى والآيات في ذلك مستفيضه .

ونختم هذه الآيات الكريمة بقوله تعالى : (وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

سورة التحريم ، آية : ٤

ففي هذه الآية الكريمة نرى محبة الله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم وتأييده له ومناصرته على أزواجه و لم يكتف سبحانه وتعالى بقوله : (فإن الله هو مولاه) أي ناصره ومتوليه بل قال سبحانه : (وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

وما ذلك إلا لبيان عظيم مترلته وكمال محبته وقربه من الله تعالى وإعلامنا بأن مجـــرد تكدير خواطره من نسائه لحظات يسيرة لأمر خطير أنزل الله تعالى بسببه قرآنا يتلـــى علما بأن نسائه أفضل المؤمنات وقد عفا عنهن بعد ذلك صلوات الله وسلامه عليه لما اعتذرن له عما وقع منهن كما ورد وهن أفضل النساء كما سبق أن ذكرنا والله تعالى أعلم .

الفاروق يمدح حبيبي صلى الله عليه وسلم

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ويبـــين مترلته العالية .

فقد روى البيهقي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلـــت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم ، بـــأبي أنـــت وأمـــي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل: (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)   سورة النساء ، آية : ٧٦

بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى : (عفا الله عنك لم أذنت لهم) بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك في آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عـــز وجل : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم)

سورة الأحزاب ، آية : ٧

بأبي أنت وأمي ياسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النـــار يـــودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون : (يا ليتنا اطعنـــا الله وأطعنـــا الرسول) بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجـــرا تفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك وسلم

بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شـــهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السـماء السـابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك .

بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الذراع : لا تأكلني فإني مسمومة بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقـال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)

سورة نوح ، آية : ٢٦

ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطء ظهرك وأدمى وجهك وكسـرت رباعيتك فأبيت إلا أن تقول خيرا فقلت : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون بـأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير : (وما آمن معه إلا قليل)

سورة هود ، آية : ٤٠

بأبي أنت وأمي يارسول الله ما نكحت الينا ولو لم تؤاكل الا كفؤا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفـت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليـه وسلم.

رواه الامام احمد والبخاري

مناجاة نبوية في ليالي الإسراء

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

روح الروح يا عبير التهامـــــي	أحيى قلبي من طيبة بالســـلام
ففؤادي في لوعة واشتيـــــاق	ولياليِ الاسرا تزيد غرامـــــي
أشهدني جمال وجهك حــق	أتهنى من بعد رفع اللثــــام
يا حبيبي يا من دنا فتدلـــــى	ورأى الـــــحق في أعلى المقام
أنت أنسي وأنت راحي وروحي	أحي قلبي من فضلكــــم بالمدام
يا حبيــبي وليلة القرب لاحت	فتفضل بالوصل والإكـــــرام
أنا مضني والوصــل منـه حياتي	ومعنى والوصل يشفى سقامـــي

النسب الشريف لحبيبي صلى الله عليه وسلم :

إن من أحب أحدا أراد أن يعرفه ويعرف نسبه وخلقه وكل ما يحبه حـــتى يحبـــه وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن نسعى لمعرفة كل شيء عنه.

هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبدالله بن عبدالمطلب بـــن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معـــد بن عدنان.

إلى هنا اجماع الأمة وما بعده إلى آدم لا يصح فيه شيء يعتمد ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتسب لم يجاوز في نسبته معد بـــن عدنــــان بـــن أدد ثم يمسك، ويقول : ((كذب النسابون)) .

قال الله تعالى :

(وقرونا بين ذلك كثيرا)

سورة الفرقان، آية : ٣٨

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم).

رواه مسلم

وعن عبدالمطلب بن أبي وداعة قال : جاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه سمع شيئا ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال : (من أنا؟ فقالوا أنت رسول الله عليك السلام قال : أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب . إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا).

رواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب

نسب أم حبيبي صلى الله عليه وسلم

وأما نسب النبي صلى الله عليه وسلم من جهة أمه : فهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب فتجتمع معه صلى الله عليه وسلم في جده كلاب .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : (وآدم بين الروح والجسد) .

وعن العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك : دعوة أبي ابراهيم ، وبشارة عيسى قومه ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام).

رواه البيهقي واخرجه الحاكم وصححه واقره الذهبي .

أبوي حبيبي صلى الله عليه وسلم في الجنة

هذا وقد كتب العلامة الشيخ أحمد عبدالجواد في السراج المنير قائلا :

هؤلاء آباء النبي صلى الله عليه وسلم الكرام وأمهاته الطاهرات طهرهم الله من رجس الجاهلية وهداهم إلى الإقرار بوحدانيته والسجود له من لدن آدم حتى انتهى إلى أبوي النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى فيهم قرآنا يتلى :

قال الله تعالى : (وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين)

سورة الشعراء آية :٢١٩

قال ابن عباس رضي الله عنه : (مازال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه)

رواه البزار والطبراني وابو نعيم

فما ينبغي للمسلم العاقل أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبويه ولا في أقربائه وأصحابه ولا في آباء الأنبياء عليهم صلوات الله فيقول عن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم إنهما في النار محتجا بالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال:

(إن رجلا قال يا رسول الله ! أين أبي ؟ قال : في النار ! فلما قفا دعاه فقال له: إن أبي وأباك في النار).

فأعل هذا الحديث طائفة من العلماء وما كان لهم أن يعلوه! بل حسبهم قـول الله تعالى على لسان الخليل إبراهيم عليه السلام (وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا البلـد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام)

سورة إبراهيم : الآية : ٣٥

وقول الله عز وجل : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء)

سورة إبراهيم ، آية : ٤٠

فالنبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في الأصلاب الطيبة والأرحام الطاهرة مـــن لدن آدم إلى أبوي النبي صلى الله عليه وسلم أما المشركون فأصلاهم نجس.

العم صنو الأب

إن قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل في حديث مسلم : ((إن أبي وأبـــاك في النار)) إشارة إلى عمه أبي لهب الذي أنزل الله فيه : (سيصلى نار ذات لهب)

سورة المسد ، آية : ٣

فالعم عند العرب بمنزلة الأب : يقول الله تعالى : (أم كنتم شـــهداء إذ حضـــر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيـــم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون).

فسمى الله العم أبا . في قوله تعالى (آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق)

وأما مخاطبة الخليل إبراهيم لعمه آزر بيا أبت فهو استعطاف وإجـــلال أمـــلا في هدايته (فتارح) هو أبو الخليل إبراهيم وليس بآزر .

وكذلك كان أبو طالب يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه ابني .

وهل يطمع الناس بالشفاعة قبل آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأقربائه وأصحابه ، أفلا يتدبر القرآن هؤلاء الذين يؤذون رسل الله في آبائـــهم وذريـــاقم ،

اقرءوا إن كنتم لا تعلمون أن الله اجتبى آباء الرسل وذرياتهم وإخوانهم واجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم .

قال الله تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم)

سورة الأنعام ، آية ٨٣/٨٧

فلا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آبائه وأقربائه ولا تؤذوا رسل الله في آبائهم فما جعلكم الله عليهم حسيبا و (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) ألم يعلم هؤلاء الذين في قلوبهم مرض أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم هما من أهل الفترة وأن الله أنزل في كتابه : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

سورة الإسراء ، آية : ١٥

وأي أذى أعظم من أن يقولوا إن أبوي النبي في النار؟

قال الله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا)

سورة الأحزاب ، آية ٥٧

أسماؤه صلى الله عليه وسلم أشرف الأسماء

ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسماء كثيرة ، قال الإمام النووي في " التهذيب " قال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في كتابه " الأحوذي في شرح الترمذي" قال بعض الصوفية : لله عز وجل ألف اسم ، والنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم .

وعن جبير بن مطعم بن عدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي محى الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب)) .

والعاقب : الذي ليس بعده نبي.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : لقيت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة ، فقال : ((أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا نبي الرحمة ونبي التوبة ، وأنا المقفى ، وأنا الحاشر ونبي الملاحم)) .

ومعنى المقفى : المتبع من قبله من الرسل .وكان آخرهم وخاتمهم .

الملاحم : هي الحروب ففي تسميته صلى الله عليه وسلم نبي الملاحم إشارة إلي جهاده صلى الله عليه وسلم وجهاد أمته من بعده.

وفي التهذيب : سماه الله عز وجل في القرآن رسولا نبيا ، أميا ، شاهدا ، مبشرا، نذيرا ، داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، ورؤوفا رحيما ومذكرا ، وجعله رحمة ونعمة ،وهاديا صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اسمي في القرآن محمد وفي الإنجيل أحمد ، وفي التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأني أحيد أمتي عن نار جهنم)).

وزاد نقلا عن ابن عساكر- الفاتح ، وطه ، ويس ، وعبدالله ، وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

اسم حبيبي صلى الله عليه وسلم عند أهل الجنة

وقال القسطلاني في المواهب : والباجوري في حاشية الشمائل : ذكر صاحب كتاب : شوق العروس وانس النفوس : وهو حسين بن محمد الدامغاني نقلا عن كعب الأحبار ، أنه قال : (اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل الجنة : عبدالكريم ، وعند أهل النار : عبدالجبار ، وعند أهل المحشر : عبد الحميد ، وعند سائر الملائكة : عبدالمجيد ، وعند الأنبياء : عبدالوهاب ، وعند الشياطين : عبدالقهار، وعند الجن : عبدالرحيم ، وفي الجبال : عبدالخالق ، وفي البراري : عبدالقادر ، وفي البحار : عبدالمهيمن ، وعند الحيتان : عبدالقدوس ، وعند الهوام: عبدالغياث ، وعند الوحوش : عبدالرزاق ، وعند السباع : عبدالسلام ، وعند البهائم: عبدالمؤمن ، وعند الطيور : عبدالغفار . وفي التوراة : مذموذ، وفي الإنجيل: طاب طاب، وفي الصحف : عاقب ، وفي الزبور : فاروق ، وعند الله : طه ويس ، وعند المؤمنين : محمد صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو القاسم لأنه يقسم الجنة بين أهلها).

قوله " موذموذ " نقل في المواهب عن السهيلي انه بضم الميم واشمام الهمزة ضما بين الواو والألف ممدودا ، وقال : نقلته عن رجل اسم من علماء بني اسرائيل وقال : معناه طيب طيب ، انتهي ، فيكون بمعنى الاسم الآخر وهو : طاب طاب .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله : ((ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختار العرب فاختار

منهم قريشا ن ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ، ثم اختار بين هاشم فاختارني، فلم أزل خيارا من خيار ، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العـــرب فببغضي أبغضهم)).

قال في التهذيب : وكنيته صلى الله عليه وسلم المشهورة أبو القاسم ، وكناه جبريل صلى الله عليهما وسلم أبا ابراهيم .

أفضل الأسماء

وأفضل الأسماء محمد وأحمد . قال القسطلاني وقد سماه الله تعالى بهذا الاســم ـــ محمد ـــ قبل الخلق بألفي عام ، كما ورد في ديث أنس .

وروى ابن عساكر عن كعب الأخبار : (ان آدم أوصى ابنه شيث عليهما السلام فقال : أي بني أنت خليفتي من بعدي ، فخذها بعمارة التقوى ، والعروة الوثقـــي ، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد ، فاني رأيت اسمه مكتوبا علـــى ســاق العرش ، ثم طفت السموات فلم أر فيها موضعا إلا ورأيت اسم محمد مكتوبا عليــه ، وان ربي اسكنني الجنة فلم أر فيها قصرا ولا غرفة إلا واسم محمد مكتوبا عليه، ولقـد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين ، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورق شجرة طوبي ، وعلى ورق سدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحجب ، وبين أعــين الملائكة ، فأكثر ذكره فان الملائكة تذكره في كل ساعاتها)

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغر عليـــه للنـبوة خاتــــــم ... من الله من نـور يلـــــوح ويشهد

وضم الإله اســـم النبي إلى اسمه ... اذا قال في الخمس المـؤذن أشــهد

وشق له من اســـــمه ليجـــله ... فذو العرش محمود وهذا محمــــد

وأما اسم أحمد فقد قال الباجوري في حاشيته : (وهو في الأصل أفعل تفضيـــل سمي بذلك لأنه أحمد الحامدين لربه)

ففي الصحيح أنه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحـــد قبلـه ، ولذلك يعقد له لواء الحمد ، ويخص بالمقام المحمود ، وبالجملة فهو أكثر الناس حامدية ومحمودية ، فلذلك سمي أحمد ومحمد ، ولهذين الأسمين الشريفين مزية علـى سـائر الأسماء، فينبغي تحري التسمية بهما .

وروى البيهقي عن علي : (ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين) .

الحب في الله تعالى

وهذا بيان الخصلة الثانية في الحديث (وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله) بشرح مفصل وهو يشتمل على منزلة الحب في الله وجزاؤه وحقوقه

فالحب في الله تعالى أوثق عرى الإيمان وأعلى مراتب المقربين.

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه (١) :

فحب المرء لأخيه في الله تعالى لأن الأخوة في الله تربطه بأسمى رباط وهو الإسلام

أما نسب الإسلام الذي يتواصل المسلمون فيه فهو النسب الحقيقي الذي تكـون صلته سعادة ، وقطيعته شقاء ، وهو أن يتواصل المسلمون في ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتباعاً لسننه صلى الله عليه وسلم واقتداء بهديه ، وتشبها به صلوات الله وسلامه عليه في كل أعماله وأحواله، وفي الله تعالى ، إخلاصاً في العبودية لذاته الأحدية ، وصدقا في العمل لوجهه الكريم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا للمسلمين جميعا ، يرحم بعضنا بعضا ، ويعطف بعضنا على بعض ، ويصل بعضنا بعضا فيه صلى الله عليه وسلم عملا بسنته ، واتباعا له صلوات الله وسلامه عليه وبذلك يكون كل مسلم لكل مسلم أخا هو عينه إلا أنه شخص آخر.

---

(١) كتاب الإسلام نسب للإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم ص ١٣٤

إذا رأى المسلم المسلم رأى نفسه عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقا وميولا ومقاصد حتى يوقن من رأى المسلمين أنهم كلهم جسد واحد ذو قلب واحد وأعضاء متعددة تعمل كلها لخير كل الجسد ، ولا يكاد يدرك أن المسلمين أكثر من واحد لما يشهده في كل •احد على انفراده من كمال المعاني التي شهدها في غيره ، حتى كأنه من شدة دهشته يكاد يقول أني لم أفارق المسلم الأول الذي رأيته منذ أعوام.

قال الشاعر :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسرى بها الساري

المؤمنون أبوهم حبيبي وأبي صلى الله عليه وسلم :

فنسب أخوة المؤمنين يدلي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه الوالد الحقيقي الذي هو أولى بأنفسنا منا ، وبه يتصل نسب كل مسلم ، وبقدر العلم بهذا النسب المحمدي تكون متانة الأخوة وقوتها ، وبقدر جهل هذا النسب المحمدي يكون انفصام عروة الأخوة، ومن علم أن له إخوة في والد ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم سارع إلى توثيق عرى الأخوة، وبذل النفس والنفيس في كمال اتصال هذا النسب المحمدي.

ومن هذا البيان يظهر لك جليا سر قوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) وذلك بعد علمك أن كل مسلم أخ لكل مسلم ،ووالدهم جميعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن اتصال النسب برسول الله صلى الله عليه وسلم هو اتصال في الله تعالى، ولذلك وردت الأحاديث الشريفة في فضل الأخوة في الله تعالى ، فأخوك في الله هو أنت بلا شك لنفسك وأنت هو نفسه ، وكأنكما نفس واحدة ذات أعضاء كل عضو يخدم غيره.

ولو أن كل مسلم كان أخا لكل مسلم لأصبحت العزة لكل مسلم ، ولمكن الله لنا في الأرض كما قال الله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم)

سورة النور ، آية : ٥٥

ولكن جهل المسلم قدر الأخوة وما يناله بها من العزة والسعادة في الدنيا ، ومن النعيم الأبدي في الآخرة فتساهل في حقوقها فتفرق المجتمع وانفصمت عروته الوثقى وصار كل مسلم يقول : نفسي كأن القيامة قد قامت ، لا يعطف على أخيه الذي يدلي نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي حبه حب لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبح المسلمون الذين جهلوا قدر الأخوة في الله أذلاء للكفار ، بعد أن كانوا أعزاء بالله رعية بعد أن كانوا ملوكا ، يخافون أن يتخطفهم الناس ، بعد أن مكن الله لهم في الأرض بالحق .

والأمر سهل على إخوتي المؤمنين أن يعودوا لما كانوا عليه من العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الحب في الله ، والبغض في الله بمعناه مرضاة الله ، وبذلك يمنحنا الله العزة والتمكين والقوة والسلطان ويذل لنا أعداءه .

منزلة الحب في الله تعالى

إن منـــزلة الحب في الله تعالى هي أعلى المنازل واسمى المقامات.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: ((إن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد [1] الله تعالى له على مدرجته [2] ملكا فلمـــا أتى عليه قال : أين تريد؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية . قال : هل لك من نعمة تربها [3] عليه؟ فقال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال : فـــإني رســـول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)).

رواه مسلم

فالحب في الله تعالى أسمى درجات الإيمان ولذا كان من جزاء المحبة في الله تعـــالى والتزاور فيه أن أكرم الله تعالى المحب برؤية الملائكة الكرام ونوال البشرى من الله تعالى على هذه المحبة .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)).

رواه مسلم

فانشراح القلوب وصفاؤها بسبب تعارف الأرواح وائتلافها واختلافها وتنافرها بسبب تباينها وعدم تجانسها وذلك يرجع إلى التقوى وعدمها قال الله تعالى :

(الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)   سورة، الزخرف، آية : ٦٧

---

(١) أرصد : أعده له ووكله بحفظه .   (٢) المدرجة : الطريق.

(٣) وتربها : تنميها وتقوم بها وتسعى في صلاحها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((والذي نفسي بيده ، لا تدخلوا الجنة ، حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء ، إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم)) .

رواه مسلم

فالإيمان لا يتم إلا بالمحبة وبذل السلام والمحبة لا تقبل إلا إذا كانت لله تعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))

رواه مسلم

المتحابون في ظل العرش يوم القيامة

فالمتحابون في الله تعالى في ظل العرش يوم القيامة لأن لهم مكانة عالية ودرجات سامية.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله)).رواه أحمد وأبو داود

فالحب في الله تعالى والبغض في الله تعالى أفضل الأعمال على الإطلاق لأنه يؤدي إلى كل عمل صالح ويباعد عن كل عمل سيء .

و عن معاذ بن أنس رضي الله عنه : أنه سأل رسول صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان؟ فقال: ((أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله ، قال : وماذا يا رسول الله؟ فقال : ((وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك)).

رواه أحمد

فأفضل الإيمان أن يكون القلب وفق مراد الله تعالى في الحب والبغض ويكثر من ذكر الله تعالى ويحب للناس ما يحبه لنفسه.

و عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
((لا يجد العبد صريح الإيمان ، حتى يبغض لله ويحب لله ، فإذا أحب لله وأبغض لله استحق الولاية لله)).

رواه أحمد

فمن أحب لله وأبغض لله تولاه الله بعنايته وصار من أوليائه الصالحين .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ثلاثة أحلف عليهن لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة والصوم والزكاة ، ولا يتولى الله عبدا في الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة ولا يحب رجل قوما إلا جعله الله معهم)) .

رواه أحمد بسند جيد

فمن أحب قوما حشره الله معهم يوم القيامة وتلك مزية كبرى يجب على المؤمن أن يحرص عليها ليحشر مع الأنبياء والمقربين .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما أحب عبد عبدا لله إلا أكرم ربه عز وجل)).

رواه أحمد

فما أجل منزلة الحب في الله التي من أجلها تنزل الله عز وجل لعباده على قدر عقولهم فجعل محبة الأخ لأخيه بمنزلة إكرام الله عز وجل لأنه أكرم خلقه وأحبائه .

وقد جاء في الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد في شرح هذا الحديث :

إكرام العبد لربه عز وجل : امتثال أمره واجتناب نواهيه ، والحب في الله والبغض في الله من الأمور التي حث عليها الشارع ، فمن أحب إنسانا لله عز وجل ، فقد امتثل أمره وبهذا الاعتبار يكون قد أكرم ربه عز وجل .

المحب يرفع إلى منزلة حبيبه

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يحشر الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)).

رواه الترمذي بسند صحيح

فيجب أن يختار المؤمن خليله الذي يحبه ويختاره على المستوى الذي يريده من التقوى والإيمان حتى يكون معه في مترلته يوم القيامة .

و عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي)).

رواه أبو داود

فالمسلم لا يصاحب ولا يحب إلا الأتقياء الصالحين الذين يعينونه على طاعة الله ومحبته.

و عن أنس رضي الله عنه قال : (إن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر رجل به فقال يا رسول الله إني لأحب هذا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((أأعلمته؟)) قال : لا . قال : ((أعلمه)) فقال : إني أحبك في الله فقال : أحبك الله الذي أحببتني له ثم رجع فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت))

رواه البيهقي في الشعب

وفي رواية الترمذي : ((المرء مع من أحب وله ما اكتسب)) .

فهذا يبين أن المحب عليه أن يخبر أخاه بذلك لتزداد المحبة بينهما وعلى من قيل له ذلك أن يقول لصاحبه : (أحبك الله الذي أحببتني له)

جزاء المتحابين في الله تعالى

إن للمتحابين في الله تعالى أعظم الجزاء وأفضل المنح الإلهية فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ليبعثن الله أقواما يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم النـاس ليسوا بأنبياء ولا شهداء)) قال : فجثا أعرابي على ركبتيه فقال : يا رسول الله حلهم لنا نعرفهم؟ قال : ((هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه)).

رواه الطبراني

وفي رواية أبي داود :

((إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يـوم القيامة بمكانهم من الله قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال :

((هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فـوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

فالمتحابون في الله تعالى يبعثون يوم القيامة في وجوههم النور على منابر من نـور يغبطهم الأنبياء على مكانتهم عند الله تعالى وما ذلك إلا لإخلاصهم في المحبة لله تعالى والتعاون على ذكر الله تعالى .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلـى الله عليـه وسلم:

((الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة المظلمة وأدناه أن تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله ، قال الله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله).

رواه أبو داود

فسلامة الدين أساسها الحب في الله والبغض في الله ومراقبة الله في السر والعلن لتصحيح النية وتجريد القصد .

كمال الإيمان :

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان)).

رواه أبو داود

فمن كان محبا في الله مبغضا فيه حقا نال كمال اليقين ونور الإيمان وسعادة الدارين.

وعن أبي قرصافه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من أحب قوما حشره الله في زمرهم)) .

رواه الطبراني

فالمحب الصادق يحشر في زمرة من أحبهم ويرفع إلى منازلهم في الجنة .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من أحب رجلا لله فقال : إني أحبك لله فدخلا جميعا الجنة فكان الذي أحب أرفع مترلة من الآخر ألحق بالذي أحب لله)) .

رواه البزار بإسناد حسن

فالمحب يرفع لمنزلة من أحبه إذا كان أعلى منزلة منه في الجنة وتلك منحة عليا من الحق تبارك وتعالى للمتحابين في الله تعالى.

و عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه)).

رواه ابن حبان والحاكم وقال العراقي : هو صحيح الإسناد

فالمتحابان في الله أشدهما حبا لصاحبه يكون أكثر منزلة وأرفع درجة عند الله تعالى .

و عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن في الجنة غرفا ترى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها ، أعدها الله للمتحابين فيه والمتباذلين فيه)) .

رواه الطبراني في الأوسط

فهذا الجزاء العظيم للمتحابين في الله تعالى، الذين صدقوا في تلك المحبة وأخلصوا فيها .

و عن أبي رزين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ألا أدلك على ملاك هذا الأمر الذي تصيب به خيري الدنيا والآخرة : عليك بمجالس أهل الذكر ، وإذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله ، وأحب في الله وأبغض في الله ، يا أبا رزين ، هل شعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائرا أخاه، شيعه سبعون ألف ملك ، كلهم يصلون عليه ويقولون : ربنا إنه وصل فيك فصله ، فإن استطعت أن تعمل جسدك في ذلك فافعل)).

رواه البيهقي في الشعب

فالزائر لأخيه في الله تعالى يشيعه سبعون ألف ملك ويصلون عليه وهذا فضل عظيم من الله تعالى للمتحابين فيه .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لو أن عبدين تحابا في الله واحد في الشرق وآخر في الغرب لجمع الله بينهما يوم القيامة يقول : هذا الذي كنت تحبه في)).

رواه البيهقي

فالمتحابون في الله تعالى يجمع الله بينهم يوم القيامة ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب ليرى كل واحد منهما صاحبه ويسر به وتقر عينه في الجنة بلقائه.

ميزان الحب والبغض في الله تعالى

قال عمر رضي الله عنه : (إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك) .

ويروى عنه أيضا : (ما أعطى عبد بعد الإسلام خيرا من أخ صالح).

وذكر الإمام الغزالي في الإحياء أن الإمام عليا رضي الله عنه قال : عليكم بالاخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمعون إلى قول أهل النار : (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم)

هذا وعلامة الحب في الله تعالى حقا أن يبغض صاحبه إذا عصى الله .

فقد كان الحسن البصري رحمه الله يقول :

(من ادعى أنه يحب عبدا لله تعالى و لم يبغضه إذا عصى الله تعالى ، فقد كذب في دعواه أنه يحبه لله) .

وكذلك يجب على المؤمن أن يحب في غيره جانب الخير الذي ظهر منه ولو كان من أهل النار .

فقد كان محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يقول : (من أحب رجلا من أهل النار لخير ظهر منه آجره الله على ذلك) .

أي يحب فيه جانب الخير ليكون تشجيعا له على الهداية ويبغض فيه جانب الكفر والشر الذي يظهر منه .

فإذا أحب المؤمن وليا من أولياء الله تعالى ، وكانت تلك المحبة لأجل الله تعالى ، رزقه الله الإقبال على طاعته ، حتى يفوز بالقرب من الله تعالى.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : (ولي الله تعالى ريحان في الأرض فإذا شمه المريدون وصلت رائحته إلى قلوبهم فاشتاقوا إلى ربهم).

وعلى ذلك فلينظر المؤمن إلى نفسه وحقيقة سريرته هل أحب أحدا لله أو أبغضه لله تعالى أم أحب بالهوى وأبغض بالهوى .

فميزان الصدق في ذلك أن يكره المؤمن العبد العاصي وهو محسن إليه ولا يجد في قلبه له محبة لأجل إحسانه إيثارا لجانب الله عز وجل .

وكذلك يحب الطائع ولو لم يحسن إليه.

كيف يلحق المحب محبوبه وإن لم يصل إلى مستواه ؟

قد يتساءل بعض الناس عن قول الحسن البصري :

يا ابن آدم لا يغرنك قول : من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصاري يحبون أنبياءهم وليسوا معهم ؟ .

وكذلك قول الفضيل بن عياض رضي الله عنه في بعض كلامه : هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي غيظ كظمته بأي رحم قاطعة وصلتها بأي زلة لأخيك غفرتها بأي قريب باعدته في الله بأي بعيد قربته في الله .

فقد أجاب عن ذلك حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى بقوله : وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع .

فالمحب لقوم لا يخلو حاله : إما أن يكون موافقا لهم في كل أعمالهم وأخلاقهم بحسب إمكانه ، أو مخالفا لهم في كلها ، أو موافقا في البعض مخالفا في البعض ، فإن كان موافقا لهم في كل أعمالهم وأخلاقهم ، فهذا منهم ومعهم بلا شك ، لأن محبته إياهم أدت به إلى اتصافه بكل أوصافهم وتشبهه بهم في كل أحوالهم ، فقد بلغ أعلى طبقات المحبة فكيف لايكون منهم ، وإن كان مخالفا في كل أفعالهم مباينا لهم في كل أحوالهم فهذا ليس منهم قطعا.

وإن وافقهم في أصل الإيمان وخالفهم في غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق فلا يخلو إما أن تكون مخالفته لهم في الطاعات والأخلاق والآداب رغبة عنها وأنفة منها ومحبة لما سواها أو لا ، فإن كان الأول فهذا لا ينفعه أيضا أصل محبته لهم مع رغبته عن أخلاقهم وأوصافهم ولا تلحقه بهم كمحبة الشيعة لأهل البيت مع معاداتهم

لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان الثاني بأن كانت مخالفته لهم لا على طريقة الرغبة عن أخلاقهم ولا على سبيل الأنفة من أحوالهم بل كان على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم والانحطاط عن علو هممهم ولو تيسر له اللحاق بهم في وصف لم يتأخر عن الاتصاف به أو خلق لم يتوان من التخلق به فهذا التقصير لا يقعده عن اللحاق بمن يحبهم ولا يؤخره عن الكينونة معهم وعلى ذلك تحمل الأحاديث والآثار الواردة في ذلك.

ولا شك أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب) جوابا لقول القائل يا رسول الله المرء يحب قوما ولما يلحق بهم ؟ وفي حديث أبي ذر ولا يستطيع أن يعمل بعملهم دليل على أن المحب لقوم يلحق معهم وإن قصر عنهم في الأعمال والأحوال، ولذلك اشتد فرح المسلمين بذلك.

المؤمنون كجسد واحد :

فعلى المؤمن أن يجتهد في صدق المحبة وكمال الاتباع وبذل المعروف والمودة لأخيه قال العلامة يوسف النبهاني (١)

وعليك بالتودد لعباد الله من المؤمنين بإفشاء السلام وإطعام الطعام والسعي في قضاء حوائجهم واعلم أن المؤمنين أجمعهم جسد واحد ، كإنسان واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى ، كذلك المؤمن إذا أصيب أخوه المؤمن بمصيبة فكأنه أصيب بها فيتألم لتألمه ، ومتى لم يفعل ذلك المؤمن مع المؤمنين فما ثبتت أخوة الإيمان بينه وبينهم ، فإن الله آخى بين المؤمنين كما آخى بين أعضاء جسد الإنسان وبهذا وقع المثل من النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت وهو قوله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) من كتاب سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله ص ٥٣

((مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)).

رواه البخاري

قال ذو النون ثلاثة من أعلام الإيمان : اغتمام القلب بمصائب المسلمين وبذل النصيحة لهم متجرعا لمرارة ظنونهم وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه.

المحبة لغير الله لا تدوم :

فكل محبة لغير الله تعالى لا تدوم .

قال علي بن داود الرقي :

كل

من كان لا يؤاخيك في الله ... فلا ترج أن يدوم إخاؤه

إن خير الإخوان من كان في الله ... دام في الله وده وصفاؤه

ولذا فالمحبة تدفع صاحبها للشوق لأخيه دائما .

فعن الحسن قال : (كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يذكر الرجل من إخوانه في بعض الليل ، فيقول : يا طولها من ليلة ، فإذا صلى المكتوبة غدا إليه ، فإذا التقيا عانقه) .

هرم بن حيان وأويس القرني

وهذا هرم بن حيان يسمع عن أويس القرني وما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحبه ويسعى لرؤيته .

فقد ذكر ابن قدامة الحنبلي (صاحب المغني) [1] :

عن هرم بن حيان قال : " قدمت الكوفة و لم يكن لي هم إلا طلب أويس حتى سقطت عليه جالسا على شاطيء الفرات ، نصف النهار يتوضأ ، فعرفته بالنعت الذي نعت لي ، فإذا رجل لحيم [2] فخيم ، أدم شديد الأدمة [3] أشعر محلوق الرأس مهيب المنظر ، فسلمت عليه ، فرد علي ومددت يدي لأصافحه فأبي أن يصافحني ، فقلت : يرحمك الله يا أويس ، وغفر لك ، كيف أنت رحمك الله ؟ ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ، ورقتي عليه ، لما رأيت من حاله ، حتى بكيت ، وبكى معي ، قال : وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان ، كيف أنت يا أخي من دلك علي؟

قلت : الله عز وجل .

قال : لا إله إلا الله : (سبحان ربنا ، إن كان وعد ربنا لمفعولا) [4]

قلت : ومن أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ، ولا رأيتني ؟.

قال : نبأني العليم الخبير عرفت روحي روحك ، حين كلمت نفسي نفسك ، إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد ، وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ، ويتحابون بروح الله ، وإن لم يلتقوا ، ويتعارفوا وإن نأت بهم الديار ، وتفرقت بهم المنازل.

قلت : حدثني يرحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني رأيت رجالا قد رأوه ، ولست أحب

---

(١) في كتابه (المتحابين في الله تعالى

(٢) لحيم : أي كثير اللحم في بدنه

(٣) الأدمة : السمرة أي رجل أسمر

(٤) سورة الإسراء ، آية : ١٠٨

أن أفتح هذا الباب على نفسي ، أن أكون قاصا أو محدثا أو مفتيا في نفسي شغل عن الناس .

فقلت: أي أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله أسمعنيها منك ، وأوصني بوصية ، أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله عز وجل .

قال : فأخذ بيدي ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، قال ربي تبارك وتعالى ، وأحق القول قول ربي ، وأصدق الحديث حديث ربي ، ثم قال : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق) إلى قوله ((إنه هو العزيز الرحيم)(١) فشهق شهقة ، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشى عليه ، ثم قال : يا ابن حيان ، مات أبوك حيان ، ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ، ومات أبوك آدم ، وماتت أمك حواء ، ومات نوح نبي الله ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات دواد خليفة الرحمن ، ومات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومات أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب ، فقلت له : يرحمك الله ،إن عمر لم يمت . قال : بلى قد نعاه إلي ربي ، ونعى إلي نفسي ، وأنا في الموتى ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بدعوات خفاف ، ثم قال : وصيتي إياك كتاب الله ، ونعي المرسلين ، ونعي صالح المؤمنين ، فعليك بذكر الموت ، ولا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت ، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم ، وانصح للأمة جميعا ، وإياك أن تفارق الجماعة ، فتفارق دينك ، وأنت لا تعلم فتدخل النار ، ثم قال : اللهم هذا زعم أنه يحبني فيك ، وزارني من أجلك ، فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه دائما في الإسلام وأرضه من الدنيا باليسير واجعله لما أعطيته من الشاكرين ، واجزه عني خيرا ، ثم قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أراك

---

(١) سورة الدخان ، آية : ٤٢

بعد اليوم رحمك الله ، فإني أكره الشهرة ، والوحدة أحب إلي لأني كثــــير الغــم ، مادمت مع هؤلاء الناس حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني ، واعلم أنك مني على بــال ، وإن لم أرك وتراني واذكرني وادع لي ، فإني سأدعو لك ، وأذكرك إن شاء الله تعالى، انطلق أنت هاهنا ، حتى آخذ هاهنا ، فحرصت عليه أن أمشي معه ساعة ، فأبى على ففارقته أبكي ويبكى ، فجعلت أنظر إلى قفاه حتى دخل بعض السكك ، ثم ســـألت عنه بعد ذلك وطلبته فما وجدت أحدا يخبرني بشيء رحمه الله ، وغفــــر له ، ومــا أتت على جمعه إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين .

هيام بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

أبشروا بالخــــير وافى ... بالنــبي أتى ختـــام

فوق عالين مقامــــــا ... سيد الرســــل الكرام

بايعته الرســـــــل لما ... أن سقوا صافي المــــدام

فوق روحي فوق عقلــــي ... فوق نيران الغــــرام

نور وجهك يا حبيــــبي ... كعبتي طول الــــدوام

يا حبيببي لي غـــــرام ... من لدن كنت رغــــام

من (ألست) ولي هيــــام ... قبلها صح الغــــرام

كيف نومي بعد عشــــقي ... والحبيب هو الإمــــام

يا رســـــول الله إني ... في اشتياق في هيــــام

معاذ بن جبل والحب في الله تعالى

وهذا الصحابي الجليل معاذ بن جبل يأتي إليه أبو إدريس الخولاني ليبلغه أنه يحبه فعن أبي إدريس الخولاني قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا ، وإذا الناس معه ، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل ، فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ، ثم قلت له : والله إني لأحبك لله ، فقال آلله ؟ فقلت : آلله . فقال : آلله ؟ فقلت : آلله فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه فقال : أبشر ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ((قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتي للمتحابين في ، وللمتجالسين في وللمتزاورين في وللمتباذلين في)).

رواه مالك

آداب الحب في الله تعالى

إن هذه المحبة في الله تقتضي أن ينصر المسلم أخاه ويعينه ولا يحسده ولا يظلمه ولا يؤذيه بأي صورة من الصور. قال صلى الله عليه وسلم : ((لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، يشير إلى صدره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)). رواه البخاري ومسلم

فهذه الخصال التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف تزيد المحبة وتؤكدها ، وتكون سببا في بقائها وارتقائها .

حقوق الحب في الله

وكذلك بين الحقوق التي تكون للأخ على أخيه فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((حق المسلم على المسلم ست ، قيل : ما هن يا رسول الله ؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه)).

رواه البخاري ومسلم .

ومن آداب الحب في الله تعالى أن تقوم العلاقة بين الأخوة على السماحة وغرس المحبة في القلوب والتعاون والاتحاد بين جميع البشر فما يبعث على الأمن والطمانينة وإشاعة البهجة بين الناس قاطبة فتكون الأمة أمة واحدة قال الله تعالى (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) .

سورة الحجرات آية ١٠

مع التعاون على نصرة الحق في كل مكان على وجه البسيطة لقوله تعالى : ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان).

سورة المائدة ، آية ٢

وكل ذلك لا يتم الا بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرقة لقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

سورة آل عمران ، آية١٠٣

و لذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهجران والخصام بقوله : (من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه).

رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد

وحذر من المشائين بالنميمة لفصم عرى الأخوة فقال صلى الله عليه وسلم (وإن أبغضكم الى الله عز وجل المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأخوان)

رواه الطبراني في الأوسط والصغير من حديث أبي هريرة .

وحرم التعدي على حرمات الناس ونهى عن مقاطعتهم فعن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم : (لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا). متفق عليه

وأمر ببسط الوجه وحسن الخلق في المعاملة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق).

رواه الطبراني

وحثنا على التودد الى الناس بقوله :(أفضل الأعمال بعد الإيمان التودد إلى الناس).

رواه الطبراني في مكارم الأخلاق عن ابي هريرة

وقال أبوسليمان الداراني رحمه الله :إني لالقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي .

و الإسلام يجعل المؤمن يألف الناس ويتألفهم بالبشر والسماحة قال صلى الله عليه وسلم المؤمن (إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).

رواه الحاكم من حديث أبي هريرة

ويرغبنا في نفع الناس و إدخال السرور عليهم فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أحب الناس الى الله انفعهم وأحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مؤمن تكشف عنه كربا أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف شهرين في مسجد).

رواه ابن ابي الدنيا باسناد حسن

و قال المرداس بن حدير رحمه الله: يا ليت لي نفسين نفس تجـــاهد في ســبيل الله ونفس تسعى للمسلمين في حوائجهم.

وأشار صلى الله عليه وسلم إلى ما يزيد المحبة ويجلب المودة فقال : ثلاث تصفـــين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته وتتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب اسمائه اليه).
رواه الحاكم عن عثمان بن طلحة ورواه البيهقي عن عمر موقوفا

فالمؤمنون كجسد واحد يقوم كل عضو بعمله ويتاثر الجميع إذا أصيب أحدهـــم كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمـــهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).
رواه مسلم

المجتمع كخلية قوامها الحب:

وان المتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أن الله تعالى جعل المجتمع كلـــه كخليـــة واحدة قوامها الحب والترابط فالأسرة تتكون من الأب والأم وهذه العلاقـــة تقـــوم بينهما على أساس المودة والرحمة وكذلك الأبناء والأقارب تقوم بينهم العلاقة علـــى أساس المحبة والألفة ولذا أمر الإسلام ببر الوالدين وصلة الرحم وحث على رعاية الجار المسلم وغير المسلم وجعل حقا معلوما للفقراء والمحتاجين وشرع الحب في الله تعـــالى وأمر المسلم في كل صلاة أن يدعو بلسان الجماعة قائلا : اهدنا الصراط المستقيم حتى لا ينسى جمع المسلمين في كل وقت من أوقات حياته وذلك يدعوه للرحمة ومد يـــد المعونة لكل مؤمن في أنحاء المعمورة -فضلا عن أبناء وطنه- وذويه بكل ما يملك من خير

قضاء الحوائج في الله

ومن حقوق المحبة في الله تعالى الاهتمام بأحوال الأخ في الله تعالى وقضاء حاجته فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يا فلان ! أراك مكتئبا حزينا ، قال : نعم ! يا ابن عم رسول الله ، لفلان علي حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه .

قال ابن عباس : ألا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت ، قال :فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لاولكني سمعت صاحب هذا القبر ، والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول: " من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها ،كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق ، كل خندق أبعد مما بين الخافقين!". رواه الحاكم وصححه

أقوال الصفدي في الحب في الله تعالى :

وقال أيضا عند قوله صلى الله عليه وسلم : (المرء مع من أحب) طبعا وعقلا وجزاء ومحلا فكل مهتم بشيء فهو منجذب إليه وإلى أهله بطبعه شاء أم أبي وكل امرئ يصبوا إلى مناسبه رضي أم سخط فالنفوس العلوية تنجذب بذواتها وهممها وعملها إلى أعلى والنفوس الدنية تنجذب بذواتها إلى أسفل ومن أراد أن يعلم هل هو مع الرفيق الأعلى أو الأسفل فلينظر أين هو ومع من هو في هذا العالم فإن الروح إذا فارقت البدن تكون مع الرفيق الذي كانت تنجذب إليه في الدنيا فهو أولى بها فمن أحب الله فهو معه في الدنيا والآخرة إن تكلم فبالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر

الله وإن سكت فمع الله فهو بالله ولله ومع الله ، واتفقوا على أن المحبة لا تصح إلا بتوحيد المحبوب وأن من ادعى محبته ثم لم يحفظ حدوده فليس بصادق.

الرفاعي والحب في الله تعالى :

وقال سيدي أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه في كتابه حالة أهل الحقيقة مع الله عند قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب هذا الحديث الشريف ملزم بمحبة العارفين مبشر بالالحاق بهم إذا صحت المحبة وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله وأن من سر الحب الخالص أن يرفع العارف إلى مقام السر والنجوى.

وقال صلى الله عليه وسلم : ((ما اختلط حبي بقلب أحد فأحبني إلا حرم الله جسده على النار))

رواه أبو نعيم عن ابن عمر ورمز السيوطي لصحته

كراهية الكفر ومحبة الإيمان

وهذا بيان الخصلة الثالثة بشرح مفصل لقوله صلى الله عليه وسلم: ((وأن يكـره أن يعود في الكفر كمايكره أن يقذف في النار))

رواه البخاري

وقد سبق بتوفيق الله تعالى بيان محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة المرء لأخيه في الله تعالى و لم يبق إلا كراهية الكفر لتذوق حلاوة الإيمان فهذه تجلية لبشاعة الكفر وشناعة مرتكبه بأوضح حجة وأسطع برهان من الكتاب والسنة وذلك لأن .الكفر يورث غضب الله ومقته ويؤدي إلى الخلود في النار وأما فضائل الإيمان فلا تعد ولا تحصى .

وقد ورد في فضل الإيمان والاعتراف بالشهادتين ترغيب عظيم وبشريات كبرى تسعد المؤمنين وتحرك لطائف قلوبهم وتجعلهم يطيرون إلى الملأ الأعلى من فرط البهجة ونعيم الرضا ونوال المغفرة والفوز بالجنة والبعد عن النار قال الله تعـالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

سورة النساء ، آية : ٤٨

فمن نقى قلبه من أوضار الشرك وطهر سريرته بنور التوحيد الخالص ومـات لا يشرك بالله شيئا لقي الله تعالى مغفورا له من جميع الذنوب التي لم يمت مصرا عليـها وتاب إلى الله منها ، فعن أنس : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشـرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)).

رواه الترمذي وحسنه

فالتوحيد هو أساس السعادة كلها وسبب النجاة من أهوال يوم القيامة والشـرك هو مصدر الشقاء ومنبع الغضب الإلهي وموجب للخلود في النار.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار))

رواه البخاري

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار)).

رواه مسلم

أي يتخذ أربابا من دون الله فمن مات وهو يدعو لله ندا أي مثلا أو شبيها أو يطلب من أحد ما لا يقدر عليه إلا الله معتقدا فيه النفع أو الضر استقلالا أدخله الله النار وعذبه عذابا شديدا ومن لقي الله تعالى موحدا صافي العقيدة مبرءا من الشرك أكرمه الله تعالى بدخول الجنة ونوال المغفرة والنعيم المقيم بل إن الله تعالى يجعل له حرمة عظيمة في الدنيا فيعصم ماله ودمه ما دام يقول لا إله إلا الله ويكفر بالجبت والطاغوت وما يعبد من دون الله من حجر أو شجر أو حيوان أو بشر.

فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل))

رواه مسلم

الإيمان حياة ونور ، والكفر موت وظلمات

إن الإنسان بغير عقيدة الإيمان الصادقة يعيش مقبورا في ظلمات الضلال والعمى بل هو في الحقيقة ميت القلب والعقل فاقد الإدراك والمعرفة يتخبط في دياجير الحيرة والشكوك محروما من نور الحياة وحياة الإيمان لأنه يسير بلا هدف ويجرى وراء سراب خادع فلا يذوق للحياة طعما ولا للوجود معنى ولذلك بين الله تعالى بأن

المؤمنين يحيون بحياة الإيمان ويستضيئون بنوره وأن المشركين الكفار في عداد الأموات المطموسين بظلمات الشرك والخسران.

قال الله تعالى :

(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكفرين ما كانوا يعملون)

سورة الأنعام ، آية ١٢٢

أي أنكم بإيمانكم لستم مثل الكافرين في شيء فليس حال من كان كالميت في ضلاله فأنار الله بصيرته بالهداية التي هي كالحياة ، وجعل له نور الإيمان والعقيدة الحقة يهتدي به ويسير في ضوئه كحال الذي يعيش في الظلام المتكاثف ،وكما زين الله الإيمان في قلوب أهل الإيمان زين الشيطان الشرك في نفوس الجاحدين المعاندين.

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ضلال الكفار وأعمالهم الباطلة وضرب لنا مثلا مبينا ما هم فيه غارقون من ظلمات لأنهم حرموا نور الهداية والإسلام قال تعالى : (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

سورة النور ، آية : ٤٠

وهذا مثل آخر لأعمال الكفار فمثلها كمثل ظلمات البحر الواسع العميق الذي تتلاطم أمواجه عند هياجه ويعلو بعضها فوق بعض ، ويغطيها سحاب كثيف قاتم يحجب النور عنها فهذه ظلمات متراكمة لا يستطيع راكب البحر معها أن يرى يده ولو قربها إلى بصره فوقف متحيرا مبهوتا وكيف يرى شيئا وينجو من هذه الحيرة بدون نور يهديه في طريقه وسيره ويقيه الارتطام والهلاك وكذلك الكافرون لا يفيدون من أعمالهم ولا يخلصون من ظلماتهم ولا ينفكون عن عمايتهم وضلالهم ولا

ينجون بأنفسهم إلا بنور الإيمان وصحة العقيدة ومن لم يوفقه الله لنور الإيمان الخالص فليس له نور يهديه إلى الحق ويدله على سبيل الاستقامة فيكون من الهالكين .

وأوضح سبحانه وتعالى بأن الاستجابة لله ورسوله هي الحياة والنور .

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذ دعاكم لما يحيكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)

سورة الأنفال ، آية : ٢٤

(أي يا أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له أجيبوا الله بقلوبكم وجوارحكم لما يأمركم به وأجيبوا الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغه ما يدعوكم إليه ، إذا دعاكم عليه الصلاة والسلام إلى أوامر الله بالعقائد والأحكام التي فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكم وقلوبكم ، واعلموا علم اليقين أن الله تعالى قائم على قلوبكم يوجهها كما يشاء فيحول بينكم وبين قلوبكم إذا زين الشيطان لها الهوى فهو متوليكم أن اتجهتم إلى الحق المبين وأنكم جميعا ستجتمعون يوم القيامة فيكون الجزاء العادل الرحيم .

فمن آمن بالله حقا عاش في نور الله وهدايته ونجا من ظلمات الشر والباطل لأنه في ظل الولي الحميد قال الله تعالى :

الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خلدون)

سورة البقرة ، آية : ٢٥٧

أي أن الله متولي شئون المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم بفضله فيخرجهم من ظلمات الشرك والحيرة والضلال إلى نور التوحيد والهدى والاطمئنان والكافرون بالله تعالى تستولي عليهم الشياطين ودعاة الشرك والضلال ، فهم يخرجونهم من نور الإيمان الذي

فطروا عليه والذي ظهر لهم بالأدلة الواضحة والآيات البينة إلى ظلمات الكفر والفساد فهؤلاء هم الكافرون هم المستحقون للخلود في النار باتخاذهم الطاغوت أولياء من دون الله تعالى .

فمن أشرب قلبه بنور الإسلام فهو على المحجة البيضاء والملة السمحاء يكون منشرح الصدر بنور الإيمان والهدى قال الله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلل مبين)
سورة الزمر ، آية : ٢٣
ليس كل الناس سواء أفمن شرح الله صدره للإسلام وجعله مستعداً لقبول الحق فصار على بصيرة وهدى من ربه كمن أعرض عن التفكير في آياته فالعذاب الشديد للذين قست قلوبهم عن ذكر الله لأنهم في هوة الضلال ساقطون وعن طريق الحق الأبلج منحرفون.

فأهل الإيمان هم الثابتون الراسخون الذين لا تعصف بهم رياح الشكوك والريب فهم في رياض البهجة والسلام يتنعمون وفي نعيم الإيمان والهدى يعيشون قال الله تعالى: (الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون).
سورة الأنعام ، آية : ٨٢
أي أن الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بعبادة غير الله تعالى ، هؤلاء وحدهم هم الآمنون المطمئنون الذين لا يعرفون الحيرة والمخاوف وهم وحدهم المهتدون إلى طريق النجاة وسبيل السعادة .

فالإيمان مصدر الخيرات كلها في الدنيا والآخرة ومنبع النعم الظاهرة والباطنة.

قال الله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)

سورة الأعراف ، آية : ٩٦

أي ولو أن أهل تلك القرى آمنوا واتقوا لمنحناهم بركات من السماء والأرض وأنزلنا عليهم رزقا من السماء كالمطر والنبات والثمار والأمن والسلامة من الآفات ولكن جحدوا وكذبوا الرسل فأصبناهم بالبلايا والمحن عقوبة لهم وهم نائمون بسبب ما كانوا عليه من الشرك والمعاصي فأخذهم بالعقوبة أثر لازم لكسبهم القبيح وعبرة لأمثالهم إن كانوا يعقلون .

وقد ضمن الله تعالى للمؤمنين الصالحين حياة الرخاء والهناء والاستقرار والأمن في الدنيا والجزاء العظيم في الآخرة قال الله تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون).

سورة النحل ، آية : ٩٧

أي أن من عمل عملا صالحا سواء أكان ذكرا أم أنثى متجها إلى هذا العمل الصالح بدافع الإيمان والعقيدة فاننا لا بد أن نحييه في هذه الحياة الدنيا حياة طيبة لا قلق فيها تملأها السعادة الحقة بالقناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا والشكر على نعم الله فيها وفي الآخرة وافر الأجر وعظيم الثواب المضاعف والمغفرة الواسعة والرضوان الأكبر.

وأوضح لنا جل جلاله ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين بأن المؤمنين في كنف الله وحفظه من الأعداء والسوء قال تعالى :

(ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم)

سورة محمد ، آية : ١١

أي ذلك الجزاء العظيم والنصر المؤزر للمؤمنين بأن الله متـــولى الذيـــن آمنـــوا وناصرهم ومؤيدهم برعايته وفضله وأن الكافرين لا مولى لهم ينصرهم ويمنع هلاكهم وأن المؤمنين عند الله هم السعداء حقا لما لهم عنده من قدم راسخة ومقام كريم قـــال الله تعالى : (وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) .

سورة يونس ، آية : ٢

أي وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق أي لهم المترلة العالية والمكانة الرفيعة عنـد ربهم ولا يتخلف وعد الله أبدا.

فمن سعد بالإيمان والتقوى خصه الله تعالى بكفلين من رحمته وأعطاه نورا يفـرق به بين الحق والباطل وعاش قرير العين مطمئن الخاطر ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وءامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون بـــه ويغفر لكم والله غفور رحيم)

سورة الحديد ، آية : ٢٨

أي يا أيها الذين آمنوا خافوا الله واثبتوا على إيمانكم برسوله صلى الله عليه وسلم يمنحكم الله نصيبين من رحمته ويجعل لكم نورا تهتدون به في حيـــاتكم لتســـعدوا في الدنيا والآخرة ويغفرلكم ما فرط من ذنوبكم والله واسع المغفرة عظيم الرحمة .

وقد بين الله تعالى عاقبة الضلال والشرك وصور حالة المشركين وهم في أقســـى حالات الضنك والضيق النفسي الرهيب وما عليه أهل الإيمان من انشراح في الصـــدر ونور في القلب .

قال تعالى :

(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)

سورة الانعام ، آية : ١٢٥

أي فمن يرد الله له الهداية يتسع صدره لنور الإسلام ومن يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقا شديد الضيق كأنه من الضيق كمن يصعد إلى مكان مرتفع بعيد الارتفاع كالسماء فتتصاعد أنفاسه ولا يستطيع شيئا ولله الحجة البالغة على خلقه ببيان دلائل الحق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا فالعقيدة الإسلامية هي النعمة العظمى والفضل الكبير لأن الله تعالى تفضل علينا بإكمال الدين وإتمام النعمة بهذا الدين الحنيف ، قال الله تعالى :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم).

سورة المائدة ، آية : ٣

أي أكملت لكم أحكام دينكم وأتممت عليكم نعمتي الكبرى لسعادتكم وتثبيت أقدامكم واخترت لكم الإسلام دينا لتنالوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة .

وإن الإيمان الخالص بدين الإسلام إذا خالطت بشاشته القلوب وتمكنت في أعماق النفوس وجد المؤمن حلاوة الإيمان الحق وذاق طعم السعادة الكاملة وعاش في نعيم روحي ومتعة قلبية لا تمنحها لذائذ الدنيا بأجمعها ولا يحصلها الإنسان ولو ملك كل شيء من زخارف الحياة بأسرها بل ولو بلغ القمة في السلطان والحكم لانها من الله تعالى خالق ومدبر الأمر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا ، وفي لفظ نبيا)).

رواه مسلم والترمذي

أي تذوق طعم الإيمان وشاهد نور الحقيقية من صدق تصديقا جازما وسلم تسليما تاما ورضي رضاء كاملا بأنه عبد لله الواحد القهار وأن الإسلام هو المنهج الإلهي القويم والدين الحق المستقيم وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو الرسول الخاتم المعصوم الذي تجب متابعته والإيمان بما جاء به .

فالمؤمن الصادق يحيا في نور السعادة الحقيقية ويحس بحلاوة البهجة والحبور لأنه يحب الله ورسوله حبا صادقا يغنيه عن كل شيء سواهما ويحب لله ويبغض لله ويكره الكفر كما يكره الوقوع في النار.

حجة الله البالغة على المشركين

وقد بين الله تعالى سفاهة المشركين وفضحهم بإظهار فساد معتقداتهم الباطلة :

قال تعالى : (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصـــرا ولا أنفسهم ينصرون) سورة الأعراف ، الآية : ١٩١

أي هل يصح أن يشركوا مع الله أصناما لا تقدر أن تخلق شيئا من الأشياء وهـــم مخلوقون لله تعالى ولا تستطيع أن تعين غيرها وتنصره فضلا عن أن تنصر نفسها.

وقال سبحانه وتعالى :

(قل أرءيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين)

سورة الأحقاف ، آية : ٤

أي قل للذين يدعون غير الله : أخبروني عن حال مـــا تدعـــون مـــن دون الله أعلموني: أي شيء خلقوا من الأرض أم لهم مشاركة في السموات ، ائتوني بكتـــاب من الله أو أثر من علم الأولين تستندون إليه في دعواكم ان كنتم صادقين؟.

ثم بين سبحانه عاقبة شركهم وإفكهم المبين يوم يجمعون للحساب.

قال الله تعالى : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شـــركاؤكم الذين كنتم تزعمون) .

سورة الأنعام ، آية : ٢٢

أي واذكر لهم ما سيحصل يوم نجمع الخلق كلهم للحساب ، ثم نقول توبيخـــا وتقريعا للذين عبدوا مع الله غيره : أين الذين جعلتموهم شركاء لله لينفعوكم ويدفعوا عنكم عذاب الخزي والخلود في الشقاء الأبدي.

الشرك والعياذ بالله تعالى عاقبته أليمة في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : (ومـــن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق)
سورة الحج ، آية : ٣١

أي أن من يشرك بالله تعالى فقد سقط في هوة الخســـران الشـــديد وتنازعتـــه الضلالات وعرض نفسه لأقسى صورة من صور الهلاك وكأن حاله حينئذ كحـــال الذي سقط من السماء فتمزق قطعا تخاطفتها الطيور فلم يبق له أثر ، أو عصفت بـــه الريح العاتية فتقطعت أجزاءه وهوت بكل جزء منه في مكان بعيد.

قال تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليســـتجيبوا لكم إن كنتم صادقين)

سورة الأعراف ، آية : ١٩٤

أي إن الذين تعبدوهم من غير الله وتلجأون إليهم خاضعين لهم مسخرين لأمرهم مثلكم فإن كنتم صادقين في زعمكم أنهم يقدرون على شيء فاطلبوه منهم فليحققـوه لكم ولن يستطيعوا أبدا فلماذا لا ترجعون إلى الحق وتؤمنوا بالله الواحد القهار؟

وبين عز من قائل فساد عقائد المشركين وفند مزاعمهم الباطلة بأوضح الحجـــج الدامغة قال الله تعالى :

(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عنـــد الله قل آتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ســـبحانه وتعـــالى عمـــا يشركون). سورة يونس ، آية : ١٨

وهو سؤال على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين الذين يعبدون أصناما باطلة لا تضرهم ولا تنفعهم ويقولون :هؤلاء الأصنام يشفعون لنا عنـــد الله في الآخرة ليقول لهم : هل تخبرون الله بشريك لا يعلم الله له وجودا في السموات ولا في الأرض ،تنـــزه الله عن الشريك وعما تزعمونه بعبادة هؤلاء الشركاء فهو الإله الحـــق المستحق وحده للعبادة .

ويشير سبحانه إلى آيات محسوسة لا ينكرها إلا معاند ظهر له الحق فعدل عنه إلى الضلال .

غيرة الحق على جناب التوحيد

وقد توعد الله المشركين والظالمين الذين يدعون الإلوهية بعذاب جـــهنم المـــؤلم الشديد قال تعالى :

(ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)
سورة الأنبياء ، آية : ٢٩

أي ومن يقل إني إله يعبد من دون الله فذلك نجزيه جهنم خالدا مخلدا فيها أبـــدا وكذلك نجزي كل الذين يتجاوزون حدود الحق ، ويظلمون أنفسهم بادعاء الربوبيـة والشرك ، وبين سبحانه وتعالى أنه غني عن الولد والشريك بأدلة واضحـــة للعقـــل المنصف والإدراك السليم قال تعالى :

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلـــق ولعـــلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)

سورة المؤمنون ، آية : ٩١

أي ما اتخذ الله له ولدا لأنه منـــزه عن ذلك ، وما كان له شريك إذ لو كان لـــه شريك لا ستبد كل منهما بخلقه واستقل كل بملكه ولتنازع بعضهم مع بعض كمـــا يحدث بين الملوك فيفسد الكون بهذا الاختلاف ولا ترون هذا التناسق التام والـــترابط المحكم في الوجود فتنـــزه الله عما يقوله المشركون من نسبة الولد والشريك لله تعالى.

ويقرع سبحانه أسماع المشركين بالحجج القاصمة لظهورهم مبينا خزيهم وعارهم الشديد في اتخاذ الانداد وعبادة غير الواحد الأحد.

قال تعالى :

(ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

سورة يوسف ، آية : ٤٠

أي إنكم تعبدون من دون الله أسماء افتريتموها أنتم وأباؤكم على أوهام وخيالات فاسدة لا وجود لها ، ما أنزل الله بتسميتها آلهة من حجة وبرهان فما الحكم في شأن العبادة وفيما يجب أن يعبد وما لا تصح عبادته ، إلا لله وحده أمر سبحانه ألا تخضعوا ولا تتذللوا لغيره وأن تعبدوه تعالى وحده ذلك الدين الأقوم المبين الذي ترشد اليه أدلة الحق وبراهين الصدق ولكن أكثر الناس لا يسترشدون بهذه الأدلة ولا يدركون ما هم عليه من جهل مطبق وسفه عظيم .

وعيد الله لاتخاذ الإلهة من دونه

وحذر سبحانه المشركين من اتخاذ الأرباب والآلهة من دون الله تعالى : قال تعالى:
(وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فأرهبون)
سورة النحل ، آية : ٥١

أي وقال الله : لا تشركوا في العبادة مع الله أحدا وتجعلوهما إلهين ، لأن الشركة في العبادة تنافي وحدانية الخلق والتكوين ، إنما المعبود بحق إله واحد بماظهر من الأدلة الدامغة فخافوني ولا تخافوا غيري لأني أنا الواحد القهار .

ويكشف الله تعالى عورة الباطل الأثيم باظهار بشاعة الشرك وحقارة عقول المشركين موضحا أدلة التوحيد بحجج ملزمة للعقل ظاهرة للعيان .

قال الله تعالى :

(قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هي يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشبه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار).

سورة الرعد ، آية : ١٦

وهو أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يجادل المشركين هاديا لهم من الضلالة مبينا لهم فساد مزاعمهم الباطلة بأروع البيانات ، فقال له : قل لهم أيها النبي : من الذي خلق السموات والأرض ، وهو الحافظ والمدبر لها ، والمسير لما فيها بدقة متناهية ورعاية فائقة ؟ ثم بين لهم الجواب المستقيم الذي لا يحارون فيه فقل لهم : هو الله وحده المعبود بحق دون سواه فكان الواجب والمحتم عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ثم قل لهم : أفترون بعد وضوح البراهين المثبته لوحدانية الله في كل شيء وتشركون مع ذلك أوثانا تعتقدونها آلهة من غير أن تعترفوا بوحدانيته تعالى فهذه الأوثان لا تملك لذاتها أي نفع ولا تدفع عن نفسها أي ضرر فكيف تسوونها بالإله الخالق المدبر ؟ انكم لا تميزون بين الخالق لكل شيء ومن لا يملك شيئا لانكم بذلك تسوون بين المتضادين فهل يستوى من يبصر ومن لا يبصر ، أو الظلمة القاتمة والنور المشرق الوضاء أم ذهب بهم سوء اعتقادهم حتى زعموا أن أوثانهم شركاء الله في الخلق والتدبير فتشابه عليهم أمر الخلق كما ضلوا العبادة فقل لهم أيها الرسول : إن الله وحده هو المنفرد بالخلق والايجاد المستحق للعبادة وحده الغالب على كل شيء بقهره وسلطانه .

حجج قاهرة للكفار والمشركين

ويوبخ الله تعالى المشركين ويسخر من عقولهم الضالة مبينا لهم فساد شركهم بأروع الأمثلة المشاهدة المحسوسة .

قال تعالى : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) سورة الحج ، آية : ٧٣

أي يا أيها الناس : إنا نظهر أمامكم حقيقة عجيبة في أمرها غريبة في شأنها فاستمعوا إليها وتدبروها بتعقل وإمعان : إن هذه الأشياء التي تعبدونها من الأصنام وغيرها لن تستطيع أبدا خلق شيء مهما يكن صغيرا وضعيفا كالذباب وإن تضافروا جميعا على خلقه بل إن هذا المخلوق الضعيف لو سلب من الأصنام شيئا من القرابين التي تقدم إليها فإنها لا تستطيع بحال من الأحوال أن تمنعه أو تسترده منه ، وما أضعف وأحقر وأذل الذي يهزم أمام الذباب عن استرداد ما أخذه منه وما أضعف نفس الذباب فكلاهما شديد الضعف بل إن الأصنام أشد ضعفا ، وأقل شانا من الذباب فكيف يليق بإنسان عاقل أن يشركها مع الله تعالى وأن يعبدها ويلتمس النفع منها وهي عاجزة مقهورة كما ترونها ويبين سبحانه وحدانية الخالق جل جلاله بمنطق الحجة البالغة والعقول المفكرة .

قال تعالى : (لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) سورة الأنبياء ، آية : ٢٢

أي لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله تدبر أمرهما لا ختل ذلك النظام البديع الذي قام عليه خلقهما وظهر للعيان بهذه الدقة التامة والإحكام البالغ فتنزيها لله تعالى وتقديسا لصاحب الملك والملكوت عما ينسبه إليه المشركون ويصفه به الظالمون.

فمن لم يوحد الله توحيدا مطلقا وأشرك معه غيره خذل في الدنيا والآخرة وكان مذموما مدحورا.

قال تعالى : (لا تجعل مع الله إلها ءاخر فتقعد مذموما مخذولا)

سورة الإسراء ، آية : ٢٢

أي لا تجعل مع الله شريكا فتصير قرينا للذل والإهانة ، ويكون الخذلان ملازما لك لأن الله تعالى واحد أحد لا شريك له في ملكه.

ولذلك أكد سبحانه وتعالى أن القرآن المجيد هو الحجة البالغة والإنذار الشديد بتوحيد الله وعدم الإشراك به .

قال تعالى : (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب)

سورة ابراهيم ، آية : ٥٢

أي أن هذا القرآن هو البلاغ التام لإنذار الناس وتخويفهم من عذاب الله تعالى وليعلموا إذا خافوا وتأملوا أنه لا إله إلا إله واحد منفرد بالربوبية والألوهية فلا تصح العبادة إلا له ولا الطلب إلا منه ، وليتذكر أرباب العقول السليمة عظمة ربهم وخالقهم فيبتعدوا عما فيه هلاكهم وعذابهم الشديد.

قال الله تعالى : (أجعل الألهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)

سورة ص ، آية : ٥

فإشراك غير الله تعالى في العبادة والخضوع والطاعة هو الكفر الذي بعث الرسل للقضاء عليه حتى يخلص التوحيد لله تعالى من كل شرك جلي أو خفي .

قال تعالى : (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ، وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه)

سورة الزمر ، آية ١٥

إلى هنا تم بحمد الله تعالى وتوفيقه خاتمة هذا الكتاب في آخر شهر شعبان ١٤١٨هـ . داعيا المولى القدير لكل من ساهم في طباعة هذا الكتاب أو أعان على إخراجه أن يجزيه الله تعالى خير الجزاء وأن يجعله في ميزان حسناته وأن ينفع المسلمين بما في هذا الكتاب إنه سميع مجيب (وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرست